

روايات مصرية للجيب
158
رجل المستحيل
د. نبيل فاروق
الخُطَّة
Looloo
www.dvd4arab.com



رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن ـ 1) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و (المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة .. لقب «رجل المستحيل» .

د. نبيل فاروق

1ـ صـفقة ..

ارتفع هدير مروحة الهليوكوبتر الصغيرة ، وهى تنطلق على ارتفاع منخفض ، فوق مياه المحيط الأطلنطى ، متجاوزة الساحل الأمريكى ، ومتجهة عبر المحيط نحو الشرق ، وفى اتجاه جزيرة صغيرة ، بدت هادئة ساكنة ، وكأنما تخلو من السكان تمامًا ، إلا أن الهليوكوبتر لم تكد تقترب منها ، حتى تحرّك جزء من سطح الجزيرة الرملى ، بما يحويه من نخيل استوائى ، وارتفع على نحو عجيب ، كاشفًا ممرًا ضخمًا عميقًا ، عبرته الهليوكوبتر دون أن تغيّر اتجاهها ، ولم تكد تختفى داخله ، حتى عاد سطح الجزيرة إلى موضعه الأوّل ، فلم يبد عليه أدنى أثر لما حدث ، وعادت أمواج المحيط تتكسر عليه فى هدوء ..

وهناك فى أعماق تلك الجزيرة ، عبرت الهليوكوبتر ذلك الممر الضخم القصير ، إلى ساحة هائلة ، مضاءة على نحو جيد ، ويحتشد فيها عدد من الجنود المدجّجين بأحدث أنواع الأسلحة ، وبدا من الواضح أنهم فى انتظار الهليوكوبتر ، وإن اتخذوا احتياطاتهم ، وأحاطوها مصوبين إليها أسلحتهم فى تحفّز ، استعدادًا لاستقبال ركابها ، وتأهبًا لأية مفاجأة محتملة ، ولكن راكب الهليوكوبتر الوحيد هبط منها مبرزًا بطاقة هويته الخاصة ، وهو يقول :

ـ كولونيل (سميث لورين) .

ظلّ الجنود يصوبون إليه أسلحتهم بنفس التحفّز ، فى حين اتجه نحوه شخص يبدو أرفع منزلة ، وأعلى رتبة ، وهو يحمل جهـازًا شبيهًا بجهاز (ريد آى) ، مرَّره أمام وجهه بضع لحظات ، ثم فحص قزحية عينه بجهاز آخر ، قبل أن يعتدل فى وقفة عسكرية صارمة ، هاتفًا :

ـ انتبـاه .

وهنـا فقط ، خفض الجنود أسلحتهم ، واتخذوا وقفة عسكرية تشف عن الاحترام ، فى حين أدّى أعلاهم رتبـة التحية العسكرية ، قائلاً بصوت قوى :

ـ الملازم (جون لارك) فى خدمتك يا كولونيل .

عقد (سميث) كفيه خلف ظهره ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ كيف حالها ؟!

بدت الحيرة فى عينى الملازم (لارك) لحظة ، ثم أطلّت واضحـة مع تردُّده ، وهو يقول :

ـ تبدو لى فى أفضل حال .

لم يبد الجواب مناسبًا أو كافيًا ، بالنسبة للكولونيل ، الذى مـال نحوه متسائلاً ، وفوجئ به يضيف فى عصبية :

ـ تتعامل طوال الوقت وكأنها زعيمـة المكان ، وليست مجرَّد سجينة فيه .

اعتدل (سميث) ، وأطلق زفرة شاركت الملازم (لارك) عصبيتـه ، قبل أن يقول :

ـ هذه شيمتها .

ثم استعاد صرامته ، وهو يشير إليه ، قائلاً :

ـ قدمنى إليها .

أدى (لارك) التحية العسكرية مرة أخرى ، وسار أمـام (سميث) ، عبر ممر طويل مضاء ، اصطف فيه الجنود المسلحون على الجانبين ، حتى بلغا بابًا معدنيًا سميكًا ، استخدم (لارك) بطاقة رقمية خاصة ، مررَّها عبر تجويف خاص ، وأضاف إليها رقمًا سريًا ، مع بصمـة عينـه ، قبل أن ينفتح البـاب بحركـة آليـة فى بطء ، كاشفًا ما بدا أشبه بحجرة فـاخرة ، من حجرات فنادق الدرجـة الأولى ، استلقت فيها حسناء باهرة الحسن ، على فراش وثير ، ولم تكد تشعر بدخولهما ، حتى اعتدلت فى بطء ، والتقطت سيجارة رفيعة طويلة ، من علبة أنيقة ، مجاورة لفراشها ، وأشعلتها بقدّاحـة ذهبية ، تحمل الحرف الأول من اسمها ، وهى تقول فى هدوء واثق ، يحمل لمحة من السخرية :

ـ كولونيل (سميث) .. تُرى لماذا لايدهشنى حضورك .. أخبرنى : هل حانت اللحظة ؟!

عقد حاجبيه فى غضب صارم ، وهو يسألها :

ـ أية لحظة يا (سونيا) ؟!

نفثت (سونيا جراهام) دخان سيجارتها فى بطء ، وتراقصت لمحة ساخرة فى عينيها ، وهى تجيب :

ـ لحظة احتياجكم إلى خدماتى .

ازداد انعقاد حاجبى (سميث) ، وهو يقول ، فى حدة :

ـ ومن أدراك أننا قد نحتاج إلى خدماتك ؟!

أطلقت (سونيا) ضحكة عالية عابثة ، واعتدلت جالسة على طرف فراشها ، وهى تقول فى استهتار :

ـ ألقيتم القبض علىّ ، بعد محاولتى السيطرة على العالم ، وبدلاً من إعدامى بلا رحمة ، وضعتمونى هنا .

قال فى صرامة :

ـ إنه أكثر سجوننا عزلة ومناعة ، و ...

قاطعته بنفس اللهجة :

ـ وفخامة .

تطلّع إليها فى عصبية دون تعليق ، فنهضت بحركة رشيقة ، وهى تتابع فى أناقة :

ـ لقد أدركت ، منذ اللحظة الأولى ، أنكم لاتنوون التخلُّص منى ، بأى حال من الأحوال ، ولقد اختبرت صحة استنتاجى ، عندما طلبت قداحتى الذهبية ، وسجائرى الخاصة ، فتمت الاستجابة لمطلبى على الفور ، على الرغم من السجن الخاص ، والحراسة المشدَّدة حولى ، مما جعلنى أفهم السبب الحقيقى لكل ما تحيطوننى به .

بدا صوته خشنًا جافًا ، وهو يسألها :

ـ أى سبب حقيقى ؟!

مالت نحوه بشدة ، حتى كادت رائحة عطرها تسكره ، وأجابت بصوت كالفحيح :

ـ حمايتى .

تراجع بحركة حادة ، فنفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، قبل أن تتابع :

ـ لقد أدركتم مدى عبقريتى وخطورتى ، وخشيتم أن يسعى غيركم للاستفادة منى ؛ فيسعى بالتالى لتحريرى ، وخشيتم فى الوقت ذاته أن ألقى مصرعى ؛ فتضيع معى كل خبراتى ومهاراتى ومعارفى .

وصمتت لحظة ، تطلَّعت خلالها إليه فى تلذُّذٍ ، جعلها تضيف فى استمتاع عجيب :

ـ أنـا على حق ؟!

ظلَّ (سميث) يتطلَّع إليها لحظات ، فى صرامة شديدة ، لم تنجح فى إخفاء عصبيته ، عندما قال فى غلظة :

ـ لقد أحكمنا الحصار حول (أدهم صبرى) .

تألَّقت عينا (سونيا) فى شدة ، وتحركت شفتاها على نحو خاص ، حمل كل ما يعتمل فى أعماقها من صراع وذكريات ، حول علاقتها الطويلة بـ (أدهم) ..

لقاؤها به[*] ..

وصراعها الطويل معه ..

وزواجها منه[**] ..

وإنجابها لطفله الوحيد (آدم)[***] ..

و ...

« خطـأ .. »

(*) راجع قصة (أبواب الجحيم) ... المغامرة رقم (19) .

(**) راجع قصة (الرجل الآخر) ... المغامرة رقم (81) .

(***) راجع قصة (جزيرة الجحيم) ... المغامرة رقم (84) .

قالتها فى هدوء ساخر ، قطع تسلسل أفكارها ، فحدجها (سميث) بنظرة صارمة ، قائلاً :

ـ أى خطـأ ؟!

سحبت نفسًا طويلاً من سيجارتها الرفيعة ، قبل أن تقول :

ـ لـو أنـكم أحكمتـم الحصـار حـوله بالفعل ، لما أتيتم تنشـدون مساعدتى ..

ومالت تنفث دخان سيجارتها فى وجهه ، مضيفة :

ـ أليس كذلك ؟!

صمت (سميث) طويلاً هذه المرة ، وبدا من ملامحه أنه شديد التوتر فى صمته ، قبل أن يقول فى عصبية واضحة :

ـ إننا نعرض عليك عفوًا شاملاً .

رفعت أحد حاجبيها وخفضته ، قائلة :

ـ إذن فقد كنت على حق .

بدا أكثر عصبية ، وهو يقول :

ـ هذا ليس جوابًا .

انطلقت من حلقها زمجرة ، تعارضت تمامًا مع ملامحها الجميلة ، وهى تقول فى صرامة شرسة :

ـ أريد التفاصيل .

قال فى صرامة :

ـ الجواب أولاً .

هتفت :

ـ لا جواب بدون تفاصيل .

انعقد حاجباه بشدة ، وهو يدرس الموقف كله ؛ لتحديد ما إذا كان سيجيب أم لا ، ولكن قبل أن يحسم أمر نفسه ، انطلق رنين جهاز خاص معه ؛ فالتقطه فى حركة سريعة ، تشف عن خطورة الاتصال ، وقال :

ـ الكولونيل (سميث) .

ألقت (سونيا) سيجارتها بعيدًا ، وهى تتفرّس ملامحه ، محاولة أن تستشف طبيعة الحديث ، أو فحواه ، وأقلقها أن تألّقت عيناه ، قبل أن يقول :

ـ عظيم .. عظيم .

ثم أنهى الاتصال ، وأعاد الجهاز إلى جيبه بحركة سريعة ، فقالت (سونيا) فى حذر :

ـ بشأن العفو .

قاطعها فى صرامة حادة :

ـ لا عفو .

انعقد حاجباها فى عصبية ، فتابع بنفس الصرامة ، التى أضيفت إليها رنة شامتة :

ـ إننا نسحب عرضنا .

ازداد انعقاد حاجبيها وازدادت عصبيتها ، فى حين استطرد هو :

ـ لقد انتهى أمر (أدهم صبرى) هذا .. تمامًا .

وفى هذه المرة ، قفزت عصبية (سونيا) إلى ذروتها .. أو أعلى ..

* * *

انعقد حاجبا الجنرال (ماليكوف) فى شدة غاضبة ، وهو يراجع تلك البرقية العاجلة ، التى وصلته من الولايات المتحدة الأمريكية ، قبل أن يقول للماجور (بولانسكى) فى حدة :

ـ إذن فتلك الحقيرة قررّت أن تلعب وحدها ، بعد أن شرفناها بالانضمام إلى تحالف أربعة أجهزة مخابرات عملاقة .

قال (بولانسكى) فى انفعال :

ـ رجالها حاصروا (أدهم صبرى) بالفعل ، فى منزل صغير فى (تشارلوزفيل) بولاية (فيرجينيا) ، وهم يقتحمون المكان بالفعل ، أثناء حديثنا ، وبأعداد هائلة .

تراجع (ماليكوف) فى مقعده ، قائلاً فى صرامة :

ـ ولماذا يبهجك هذا أيها الرفيق الماجور ؟!

على الرغم من أن هذا المصطلح لم يستخدم فى روسيا ، منذ بدايات تسعينات القرن العشرين ، إلا أن (بولانسكى) اعتدل بحركة عسكرية قوية فور سماعه ؛ وأجاب فى سرعة جندى ملتزم :

ـ المفترض أن يقضوا عليه هناك ؛ وهذا ينهى اللعبة كلها .

هتف (ماليكوف) فى غضب مستنكرًا :

ـ لعبـة ؟!

ارتبك (بولانسكى) ، وهو يقول :

ـ العملية أيها الرفيق الجنرال .. العملية .

رمقه (ماليكوف) بنظرة نارية ملتهبة ، قبل أن يقول :

ـ فلنكف عن استخدام مصطلح الرفيق هذا ؛ حتى لا تعتاده ألسنتنا ، فلو سمعنا أحد التقدميين ننطقها ، فستكون العواقب وخيمة .

تمتم (بولانسكى) :

ـ للأسف .

كررَّها (ماليكوف) فى حدة :

ـ نعم .. للأسف .

ثم عاد يرمقه بتلك النظرة النارية ، مستطردًا :

ـ هل قرأت ملف هذا المصرى جيدًا ؟!

أجابه (بولانسكى) فى حذر :

ـ بالتأكيد .

سأله فى صرامة :

ـ كم مرة حاصروه ، وتصوَّروا أنهم قد ظفروا به ؟!

راجع (بولانسكى) الملف فى ذهنه بسرعة ، قبل أن يقول بنفس الحذر :

ـ مرات عديدة .

سأله فى صرامة أكثر :

ـ وإلى ماذا انتهى الأمر ؟!

صمت (بولانسكى) لحظات ، قبل أن يجيب فى تردُّد :

ـ انتصر .

ضرب (ماليكوف) سطح مكتبه براحته ، وهو يهتف فى حدة :

ـ ماذا سيتغيَّر هذه المرة ؟!

لم يجد (بولانسكى) جوابًا ، وبدا حائرًا متوترًا ، فأجاب (ماليكوف) ، وهو ينهض من خلف مكتبه فى حركة حادة :

ـ الشيء الوحيد ، الذى كان من الممكن أن يتغيَّر ، ويضع ذلك المصرى فى موقف لافكاك منه ، ويغلق فى وجهه كل منفذ ، ويلغى وينسف كل أمل ، هو أن تتحد جهود أجهزة مخابراتنا فى يد واحدة ، ووفقًا لبرنامج (فرتيوالتى) المتقن ، الذى يمكنه توقُّع كل خطوة لرجل المخابرات المصرى ، ويجعلنا نسبقه دومًا بخطوة .

توقف لحظة ؛ ليضغط على أسنانه بكل قوته فى غيظ ، قبل أن يضيف فى سخط ثائرًا :

ـ ولكن تلك اللعينة أفسدت كل شىء .. أفسدته برغبتها الأنثوية الحمقاء فى أن تستأثر بالانتصار كله لنفسها ، أو ...

صمت لحظات ، انعقد خلالها حاجباه الكثَّان فى شدة ، قبل أن يضيف فى بطء ، يحمل كل مقت الدنيا :

ـ أو أن تمنحه فرصة للخلاص .

انتفض (بولانسكى) من فرط دهشته ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ الخلاص ؟!

أجابه (ماليكوف) ، وكأنه يجيب نفسه :

ـ نعم الخلاص من حصار أربعة أجهزة مخابرات .. الخلاص لأنها ... تحبه ...

نطق الكلمة الأخيرة بعد فترة صمت قصيرة ، وبلهجة تختلف عن كل ما سبقها ، فتطلَّع إليه (بولانسكى) فى دهشة ، دون أن ينبس ، أو يجرؤ أن ينبس ببنت شفة ، خاصة وأن (ماليكوف) قد غرق فى صمت بعدها ، وهو شارد تمامًا ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ نعم .. تحبه .. هذه نقطة ضعف النساء الشهيرة .

تردَّد (بولانسكى) لحظات أخرى ، قبل أن يحسم أمر نفسه ، ويغمغم :

ـ ولكن رجالها ربما ظفروا به الآن .

غمغم (ماليكوف) ، وكأنما يواصل تفكيره :

ـ ربما .

ثم التفت إليه بحركة حادة ، مضيفًا :

ـ وربما لا ..

وانعقد حاجبا (بولانسكى) فى شدة ، والاحتمالان يعربدان فى ذهنه فى عنف .. تُرى ماذا حدث هناك ، فى (تشارلوزفيل) (فيرجينيا) ؟!..

ماذا(*) ؟!..

★ ★ ★

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (المدرِّب) .. المغامرة رقم (157) .

اقتحم (ماريو) ورجاله ذلك المنزل الآمن ، فى (تشارلوزفيل) ، بمنتهى العنف والشراسة ، وما إن حطموا بابه ، حتى انطلقت أسلحتهم تفرغ كل رصاصاتها فيه دون تمييز ..

حطموا ونسفوا كل شىء تقريبًا ..

الأثاثات ..

الأجهزة ..

الأبواب ..

النوافذ ..

وحتى الجدران ..

كانوا يطلقون رصاصاتهم بهدف واحد ، أكَّد عليه (ماريو) فى أوامره بشدة ..

لا ينبغى أن تفلت بعوضة حية ، من ذلك المنزل ..

ولقد دوت رصاصاتهم ، حتى أثارت رعب كل مخلوق فى تلك المدينة الصغيرة ، التى لم تشهد فى حياتها كلها سوى حادثة سطو واحدة لم تكتمل ..

وفى انزعاج شديد ، هرع الكل إلى رجال الشرطة ، الذين يفتقرون إلى الخبرة اللازمة ، فى معالجة مثل هذه الأمور ، والذين هرعوا بدورهم إلى مأمور المدينة ، الذى بدا شديد العصبية ، وهو يهتف بهم :

ـ وماذا تنتظرون .. خذوا كل أسلحتكم ، وانطلقوا إلى هناك .

تردَّد رجال الشرطة فى قلق حذر ، فصرخ فيهم :

ـ هيا .

أسرعوا جميعًا إلى مخزن الأسلحة ، وحملوا أسلحتهم ، وهم يرتدون ستراتهم الواقية من الرصاص فى خوف ، شأن جنود يدخلون معركة حقيقية ، لأوَّل مرة فى حياتهم ..

وفى قلق حقيقى ، سأل أحدهم المأمور :

ـ ألن تأتى أيها الرئيس ؟!

صاح فيه المأمور فى حدة :

ـ بالطبع .. اذهبوا وستجدوننى خلفكم .

انطلق رجال الشرطة ، وهم يقدمون قدمًا ويؤخرون أخرى ، ولم يكد آخرهم يغادر قسم الشرطة ، حتى دلف المأمور إلى حجرته ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، ثم التقط هاتفه المحمول ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لم يكن هذا اتفاقنا .. لم يكن اتفاقنا أبدًا .

فى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته ، كانت دونا (كارولينا) ترتدى ثوبًا أنيقًا ، وتنهمك فى وضع لمسات رقيقة من زينتها وعطرها الهادئ ، عندما ارتفع رنين هاتفها الخاص ، الذى لايعرف رقمه إلا عدد محدود للغاية ، فعقدت حاجبيها الجميلين فى حنق ، وهى تقول :

ـ أى وقت سخيف هذا ؟!

ألقت نظرة سريعة على شاشة هاتفها ؛ مما أورثها مزيدًا الحنق ، جعلها تجيب فى خشونة تتعارض تمامًا مع ملامحها :

ـ ماذا تريد أيها المأمور ؟!

أجابها مأمور (تشارلوزفيل) فى عصبية :

ـ رجالك يسببون ضجيجًا كبيرًا هنا يا دونا .

قالت فى حدة :

ـ وأنت تقاضيت ثمن هذا .

هتف :

ـ الثمن لم يكن يشمل كل هذه الفوضى .

صاحت به فى غضب :

ـ الثمن كان يشمل كل شىء ، فهو يزيد عن ضعفى راتبك السنوى .. ألا تذكر ؟!

بدا شديد التوتر والعصبية ، وصوته ينخفض فى مذلة ، قائلاً :

ـ ولكن رجالك يضعوننى فى موقف سخيف ، وشديد الصعوبة بحق .. الكل هنا يطالبنى بالتدخل ، وأنا مضطر لهذا ..

قالت فى حدة :

ـ افعل ما تشاء .

سألها فى خوف :

ـ حتى لو تسبب هذا فى مصرع بعض رجالك .

أجابته فى سخرية :

ـ لست أخشى على رجالى .. إنهم يعرفون كيف يديرون أمورهم .. أما بالنسبة لرجالك ، فالأفضل أن تبدأ فى صياغة طلب تعيين بدلاء لهم من الآن .

قال فى عصبية :

ـ دونا .. لا نريد مذابح هنا .

أجابته فى استهتار :

ـ أبعد رجالك عن ساحة المعركة إذن .

همهم بكلمات غاضبة غير مفهومة ، لكنها قطعت همهمته فى صرامة :

ـ المهم .. ماذا فعل رجالى ؟!

أجابها بنفس العصبية :

ـ يثيرون الفوضى ، و ...

قاطعته بزمجرة شرسة ، قبل أن تقول فى حدة :

ـ لم يكن هذا سؤالى .

سألها ، وعصبيته تتضاعف :

ـ ماذا كان سؤالك إذن ؟!

حمل صوتها كل انفعالاتها ، وهى تسأله :

ـ هل نجحوا فى القضاء على (أدهم) ؟!

ولم يحر المأمور جوابًا هذه المرة ..

فهو نفسه يجهل الإجابة ؟!

أهى بالفعل نهاية (أدهم صبرى) ..

أم مـاذا ؟!

★ ★ ★

2ـ الثعـــلب ..

تطلَّع مدير المخابرات المصرية طويلاً إلى ذلك الطلب ، الذى قدّمته له (منى) ، قبل أن يرفع عينيه إليها قائلاً :

ـ إجازة ؟!.. وفى هذا الوقت بالذات ؟!

حاولت أن تتحاشى النظر إلى عينيه ، وهى تقول :

ـ حالتى النفسية تقتضى هذا ، والتقارير الطبية ..

قاطعها فى هدوء :

ـ التقارير الطبية كلها لدىَّ هنا .

بدت متوترة إلى حد ما ، وهى تجيب :

ـ إنها تشير إلى أن حالتى غير مستقرة .

أكمل المدير :

ـ وأنك تحتاجين إلى إجازة لأسبوعين على الأقل .. هذا صحيح .

ثم مال نحوها ، مضيفًا فى حزم :

ـ ولكنها لم تشر إلى حتمية سفرك إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

ارتبكت على نحو واضح ، وهى تقول :

ـ لقد تصوَّرت أنه ...

لم تستطع إتمام عبارتها ، فلاذت بالصمت ، وهى تبترها بغتة ، وأشاحت بوجهها على نحو واضح ، جعل المدير يبتسم ، وهو يتراجع فى مكتبه ، قائلاً :

ـ اسمعى أيتها المقدَّم .. ربما لست محللاً نفسيًا ، ولكننى أدرك ، بحكم عملى وخبرتى ، أن الشخص الذى يصاب بصدمة ، ناتجة عن تجربة قاسية فى مكان ما ، يتحاشى دومًا العودة إلى المكان نفسه ، ما لم تكن هناك ضرورة ملحة تقتضى هذا .

حاولت أن تقاوم تأثُّرها وانفعالها ، ولكن شفتاها ارتجفتا على نحو واضح ، وهو يواصل وقد تسلَّلت لمحة حانية إلى صوته :

ـ وفى ظروفنا هذه ، توجد ضرورة ملحة بالفعل .. ضرورة تحمل اسمًا واضحًا محددًا .

وعاد يميل نحوها ، مكملاً بابتسامة هادئة :

ـ اسم (ن ـ 1) .

لم تبد (منى) انفعالاً عنيفًا ، لدى سماعها الاسم الكودى لـ (أدهم) ، وإن سالت دمعتان حارتان على وجنتيها فى بطء ، وانحدرتا عليهما فى صمت ، ضاعف من شعور المدير بالشفقة نحوها ؛ فصمت بدوره بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ هل تشعرين أن (أدهم) بحاجة إليك هناك ؟!

لم تجب عن سؤاله ، وإن راحت دموعها تسيل فى غزارة ، وهى عاجزة عن كبحها ؛ فتابع المدير فى اهتمام :

ـ المفترض أن (أدهم) فى مهمــة تدريبية عادية ، ومحاولة لتنشيط قدراته وإعادة تدريبها ، و ...

ارتفع رنين هاتفه الخـاص فى تلك اللحظة ؛ فالتقطه بحركة سريعة ، ووضعه على أذنه ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

كان من الواضح ، من انعقاد حاجبيه ، أن محدثه ينقل إليه معلومة بالغة الأهمية والخطورة ، ولقد استمع إليه المدير بضع لحظات ، فى اهتمام بالغ ، قبل أن ينهى المحادثة ، وأيضًا دون تعليق ، ثم التقط الطلب الذى تقدَّمت به (منى) ، وهو يقول فى صرامة ، تخالف لهجته السابقة :

ـ إجازتك مرفوضة .

غمغمت فى عصبية :

ـ فى هذه الحالة ...

قاطعها المدير ، وهو يواصل فى حزم :

ـ ولكنك ستسافرين إلى الولايات المتحدة ، على متن أوَّل طائرة .

نظرت إليه فى دهشة بالغة ، فأضاف ، وهو يمزِّق الطلب :

ـ (ن ـ 1) بحاجة إليك هناك .

اتسعت عيناها ، فى مزيج من اللهفة والقلق ، فتابع المدير فى توتر ملحوظ :

ـ لو أنه مازال على قيد الحياة .

وارتجف جسد (منى) ..

بمنتهى العنف ..

★ ★ ★

راجع مدير (الموساد) ، فى اهتمام بالغ ، تلك الخطة المعقَّدة مع (راعول) ، قبل أن يشير بيديه ، قائلاً فى قلق ملحوظ ، بدا واضحًا على شاشة الاتصال الكبيرة فى السفارة :

- الخطة تبدو ممتازة على الورق ، ولكن هذا لا يضمن نجاحها فى عالم الواقع .

أجابه (راءول) فى هدوء ، وهو يتطلّع إلى صورته ، داخل مكتب أمن السفارة الإسرائيلية فى واشنطن :

- (فرتيواليتى) رجّح نجاحها ، بنسبة اثنين وتسعين فى المائة .

بدا وكأن مدير الموساد قد أطلق زمجرة مكتومة ، قبل أن يقول :

- مع رجل مثل (أدهم صبرى) ، هذا لا يكفى أبدًا .

وصمت لحظة ، ثم هتف فى حنق ، قبل أن يجد (راءول) وقتًا للتعليق :

- ثم إن (فرتيواليتى) هذا مجرّد برنامج كمبيوتر متطوّر .

أشار (راءول) بيده فى هدوء عجيب ، قائلاً :

- وبِمَ يدور العالم اليوم ؟!.. بأجهزة الكمبيوتر .. كل شىء تحوّل إلى منظومة رقمية .. حتى النقود ، تكاد تختفى من العالم المتحضّر ، لتحل كروت الائتمان الرقمية محلّها .

قال فى صرامة :

- مازالت أصرّ على أنه من المستحيل أن تهزم عقلاً مدربًا ، بوساطة برنامج كمبيوتر ، مهما بلغت دقته .

ابتسم (راءول) ، وهو يجيب فى ثقة :

- برنامج الكمبيوتر هذا أثبت تفوقًا ملحوظًا ، حتى هذه اللحظة .. لقد تنبأ بأن (أدهم) سيكشف أمر (رد آى) ، وسينجح فى الاستيلاء على نسخة منه ، وفهم طبيعة عمله ، كما تنبأ بتمرُّد دونا (كارولينا) ، ومحاولتها منح (أدهم) فرصة للفرار ، عن طريق إطلاق رجالها خلفه بصورة علنية .

سأله رئيسه فى صرامة ، حملت لمحة لهفة خفية :

- وهل تنبأ بمصير (أدهم صبرى) عندئذ ؟!

أشار (راءول) بيده إشارة لا تحمل معنى واضحًا ، قبل أن يقول :

- الأمر الأهم هو أن كل هذا لا يستهدف رجل المخابرات المصرى فى الواقع .

تراجع مدير (الموساد) فى مقعده ، وكأنما فاجأه الجواب ، الذى يعرفه منذ البداية بالفعل ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يغمغم :

- هذا صحيح .

نقر سطح مكتبه بأصابعه بضع لحظات ، قبل أن يكمل مندفعًا :

ـ هل تأكّدت مما أخبرك به (أبل كوربوف) ، فى لقائكما الأخير ؟!

هزّ (راعول) كتفيه ، مجيبًا :

ـ إنه زعيم (المافيا) الروسية ، وليس مجرَّد مجرم عادى ، وعندما يتحدَّث فما من سبب يدعوه للكذب .

أجابه مديره فى صرامة :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

ابتسم (راعول) ، ومال إلى الأمام ، كما لو أنه يتحدَّث محاولاً شرح معادلة صعبة لطفل ، وهو يقول :

ـ ليست مسألة اعتقاد ، وإنما هو استنتاج آخر من استنتاجات (فرتيواليتى) فمعلوماتنا تشير إلى أن (سونيا جراهام) قد زارت (سيبيريا) ، قبيل سقوطها بفترة قصيرة ، وأنها قد التقت هناك (أبل كوربوف) ، فى مكان لم يفصح عنه هذا الأخير بعد ، ولقد استنتج برنامجنا الرقمى الأسطورى ، بعد تغذيته بالملف العلمى والنفسى لـ (سونيا) ، أنها كانت تتعاون مع الرجل ، من أجل إنتاج سلاح فائق ، يمكنه السيطرة على العالم كله ، لو استُخدم بالوسيلة الصحيحة .

غمغم المدير فى صرامة :

ـ أعلم هذا .

أشار (راعول) بيده ، مكملاً :

ـ المشكلة أن يعلم الآخرون به أيضًا ، فلو أن هناك سلاحًا يفوق القنبلة الذرية ، ويمكنه السيطرة على العالم كله ، وإخضاع الدول العظمى ، فينبغى أن يكون هذا السلاح فى قبضتنا نحن ، وليس فى أية قبضة أخرى .

اعتدل المدير فى اهتمام ، قائلاً :

ـ نحن أحق به .

هتف (راعول) ، فى حماس مصطنع :

ـ بالضبط .. لو وضعنا يدنا على هذا السلاح ، فسنصبح عمليًا أقوى دولة فى العالم ، وزعماء هذه المرحلة ، وسنزيح الكل جانبًا .. العرب ، والصينيين ، والروس ، وحتى الأمريكيين أنفسهم .. لن يستطيع أحدهم الوقوف فى وجهنا بعدها ، أو فرض شروطه علينا أبدًا .

سأله مدير الموساد فى توتر :

ـ ولكن لو أن (سونيا) توصَّلت بالفعل إلى سلاح كهذا ، وأنها تتعاون مع (كوربوف) بالفعل ، فلماذا لم يستولِ هذا الأخير عليه ، ليصبح أقوى زعيم منظمة إجرامية ، فى التاريخ كله ؟!

أجاب (راعول) فى سرعة :

ـ لأنه لا يدرك قيمته .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يتراجع فى شك ؛ فتابع (راعول) فى ثقة :

ـ لقد التقيت به خصيصًا ، فى وكره الخاص فى (سيبيريا) ، لحسم هذا الأمر بالذات ، ولقد كان شديد الحذر فى البداية ، عندما سألته عن (سونيا) ووكرها السرى ، واستجوبنى فترة طويلة ، قبل أن يخبرنى فى حذر الثعالب ، أنه لن يفصح عن الأمر ، إلا لو كان المقابل مناسبًا .

غمغم المدير فى سخط :

ـ لقد طلب الكثير .

أجابه (راعول) بنفس السرعة :

ـ ملياري دولار .. نعم .. هذا كثير بالفعل ، ولكن يبدو أن (سونيا) كانت قد وعدته بما يقارب هذا .

زمجر المدير ، قائلاً :

ـ ولكن (سونيا) لم تعد هناك .

قال (راعول) فى حذر :

ـ إلا أنها لا تزال على قيد الحياة .

قال المدير :

ـ فى سجن خاص .

هزَّ (راعول) كتفيه ، قائلاً :

ـ سيِّدى .. نحن درَّبنا (سونيا) ، وندرك قدراتها بالضبط ، ولو أنها قرَّرت الفرار من سجنها الخاص ، فلن تنجح قوات البحرية الأمريكية كلها فى منعها .

ضرب المدير سطح مكتبه بقبضته ، هاتفًا فى غضب :

ـ ماذا دهاك ؟!.. تتحدَّث كما لو أننا نواجه أساطير ، ليس مجرَّد بشر .

التمعت عينا (راعول) فى خبث ، وهو يقول :

ـ (أدهم صبرى) أيضًا مجرَّد بشر .

أجابه مديره فى حدة صارمة غاضبة :

ـ نعم .. هو مجرَّد بشر ، ولكن السؤال الآن هو : أبشرى حى أم سابق ؟!

نعم .. هذا هو السؤال ..

المخيف ..

★ ★ ★

على الرغم من كل الدمار ، الذى أصاب ذلك المنزل الآمن فى (تشارلوزفيل) ، ومع كل دهشة (ماريو) ورجاله ، لم تكن هناك قطرة دم واحدة فى المكان ..

لقد تم سحق كل شىء ..

إلا البشر ..

لم يكن هناك وجود لجثة واحدة ..

أو حتى لأشلاء ..

وفى مزيج من الدهشة والغضب ، هتف (ماريو) :

ـ أين هما .. لقد رصدنا دخولهما ، ولم نرصد خروجهما ، على الرغم من أننا نحاصر المكان كله ؟!

أشار أحد رجاله إلى أعلى ، هاتفًا :

ـ السقف .

وأضاف آخر فى انفعال :

ـ أو القبو .

انعقد حاجبا (ماريو) فى شدة ، وأشار بيده إلى مجموعة من الرجال ، ثم أشار بنفس اليد إلى أعلى ، فاندفعت تلك المجموعة بأسلحتها ، تنشد طريقًا إلى سقف المنزل ، فى حين أشار هو إلى مجموعة ثانية ، وإلى مدخل القبو ، فاندفعت تلك المجموعة تقتحم القبو فى تحفُّز شرس ..

وفى موقعه ، سمع (ماريو) دوى رصاصات عنيفة فى القبو ، فشهر مدفعه الآلى ، وهو يهتف فى مقت :

ـ وجدوهما .

واندفع بدوره نحو القبو ، وقبل أن يبلغ مدخله ، سمع رصاصات أخرى تدوى فى أعلى ، فتوقَّف مرتبكًا متردِّدًا ..

أهما هناك فى القبو ..

أم فوق السطح ؟!..

وقبل أن يبحث عقله عن جواب ، أو مخرج من هذه الحيرة ، هبط أحد رجاله من أعلى ، هاتفًا فى انزعاج :

ـ الشرطة تهاجمنا .

وعلى الرغم من أن هذا أمر طبيعى ، بعد كل ما أثاروه من فوضى وذعر ، إلا أن حاجبى (ماريو) ارتفعا فى دهشة بالغة ، وهو يشير بيده بلا صوت أو معنى ، قبل أن يهتف :

ـ وماذا تنتظرون ؟!.. اشتبكوا معهم .

ولم تشهد (تشارلوزفيل) ، فى تاريخها كله ، معركة عنيفة ، كالتى شهدتها فى ذلك اليوم ..

قوات الشرطة كلها ، وهى قليلة للغاية ، مقارنة برجال دونا (كارولينا) ، حاصرت ذلك المنزل الآمن ، وراحت تمطر رجال (المافيا) برصاصاتها ، وهم يجيبونها بسيل منهمر من النيران ..

والواقع أن المعركة لم تكن متكافئة قط ..

أكثر من مائة رجل ، من رجال دونا (كارولينا) ، يطلقون النار على حفنة من رجال الشرطة المحلية ، يحتمون خلف أربع سيارات ، امتلأت بالثقوب ، من كثرة ما اخترقها من رصاصات ..

ولكن حتى هذا الموقف ، وضعته دونا فى حساباتها ، وهى تضع خطتها .

ودرست كيفية مواجهته ..

ولأنه حفظ خطتها عن ظهر قلب هتف (ماريو) برجاله :

ـ خزانات الوقود .

وهنا توقَّف رجاله عن تبادل إطلاق النيران مع رجال الشرطة ، وصوَّبوا رصاصاتهم كلها نحو خزانات وقود سياراتهم ..

ودوىَّ انفجار السيارة الأولى ، وأطاح بكل رجال الشرطة ، الذين يحتمون بها ..

ثم انفجرت الثانية ..

وهنا ، أصاب الهلع من تبقَّى من الرجال ..

وشهدت (تشارلوزفيل) ذلك المشهد المزرى ..

رجال شرطة المدينة ، وحماة أمنها ، يفرون هاربين ، تطاردهم رصاصات رجال دونا بلا رحمة أو هوادة .

ولأوَّل مرة فى حياتها ، تشهد (تشارلوزفيل) حمامًا من الدم ..

وكله تقريبًا ، من دماء شرطتها ..

وفى داخل ذلك المنزل الآمن ، هتف (ماريو) فى ظفر :

ـ إنهم ينسحبون كالأرانب .

سأله (لوتشيانو) فى قلق :

ـ هل نبادر بالرحيل ، قبل أن تصل الإمدادات ؟!

زمجر (ماريو) ، قائلاً :

ـ ليس قبل أن نظفر بغنيمتنا .

قال الرجل فى توتر :

ـ ولكننا لا ندرى حتى أين ذهبا .

انعقد حاجبا (ماريو) ، وهو يفكّر فى عمق ، قائلاً :

ـ لقد رصدنا دخولهما ، ولم نرصد خروجهما ، وكنا نحاصر المنزل من كل ناحية ، واقتحمناه فى كل مداخله فى آن واحد ، لا يترك سبيلاً سوى ..

قبل أن يتم عبارته ، اندفع أحد رجاله من القبو ، هاتفًا :

ـ سنيور (ماريو) .. لقد عرفنا كيف هربا .

والتمعت عينا (ماريو) فى انفعال ..

وشراسـة ..

وحزم ..

بلا حدود ..

★ ★ ★

أدار (هشـام) ، حفيد السيِّد (حسن) عينيـه فيما حوله فى دهشة كبيرة ، وهو يقول مبهورًا :

ـ مدهش .. لم أتوقَّع هذا أبدًا .

تحرَّك (أدهم) فى نشاط جم ، داخل المنزل الآمن الاحتياطى المجاور للمنزل الأول ، وهو يقول فى حزم :

ـ من الخطأ أن تسمح لعقلك بالدهشة أو الانبهار ، فى موقف كهذا .. عليك أن تعتاد اختزان كل مشاعرك فى أعماقك ، حتى اللحظة المناسبة لإطلاقها .

هزَّ (هشام) كتفيه ، قائلاً :

ـ هذا مخالف للطبيعة البشرية .

أجابه (أدهم) فى صرامـة ، وهو يلتقط حقيبـة ، موضوعة فوق منضدة فى ركن ، وكأنها تقبع هناك فى انتظاره :

ـ فى هذه المواقف نحن لسنا بشرًا .

ثم التفت إليه ، مكملاً فى حزم :

ـ نحن رجال مخابرات .

قال (هشام) فى عناد :

ـ رجال المخابرات بشر أيضًا .

انفرجت شفتا (أدهم) ، وكأنه يهم بقول شىء ما ، إلا أنـه عاد يطبقها ، دون أن يقول سوى عبارة واحدة صارمة :

ـ هيـا .

تبعه (هشام) مباشرة ، وهو يسأله فى قلق :

ـ هل سنغادر المكان ، وسط هذه الحرب الدائرة ؟!

أجابه (أدهم) فى هدوء ، بدا غير متناسب مع الموقف المشتعل :

ـ لا تتصوَّر أبدًا أن خصمك أقل منك ذكاءً أو كفاءة .. اختفاؤنـا سيثير دهشتهم وحيرتهم لبعض الوقت فحسب ، ولكنهم سيكشفون حتمًا مدخل النفق السرى ، الذى يقود من المنزل الذى اقتحموه إلى هنا ، وسنجدهم يحاصروننا خلال دقائق .

وفتح بابًا يقود إلى مرآب المنزل ، مستطردًا :

ـ إنه سباق حياة إذن ، بيننا وبينهم ، ومن يربحه يحيا ، أما من يخسره ..

لم يحـاول إتمـام عبارتـه ، ولكن (هشـام) فهمهـا ، وامتقعت ملامحه على نحو ملحوظ ، وهو يخطو داخل المرآب ..

وقبل حتى أن يدلف إلى تلك السيارة الرياضيـة ، التـى تقف هناك ، والتى احتل (أدهم) مقعد قيادتها بسرعة مدهشـة ، سمع صوت رجال دونا وهم يقتحمون المنزل الاحتياطى ، ويمطرون مدخله برصاصاتهم ، فهتف :

ـ رباه !.. إنهم هنا .

قال (أدهم) بمنتهى الصرامة :

ـ اركب .

كان وقع أقدام الرجال يصم أذنيه ، وهم يندفعون داخل المكـان فى عنف وحشى ، ويقتربون بسرعة مدهشة من المرآب ، فهتف (هشام) ، وهو يغلق باب السيارة خلفه :

ـ لن نجد الوقت حتى لفتح باب المرآب .

قال (أدهم) فى حزم ، وهو يدير محرك السيارة :

ـ ومن يحتاج إلى هذا ؟!

ضغط دوّاسة الوقود بكل قوته ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها الرجال المرآب ..

وانطلقت السيارة الرياضـة بكل قوتهـا وسرعتها ، وإطاراتها تطلق صريرًا عنيفًا ، امتزج بدوى رصاصات رجال دونـا ، الذين حاولوا اصطيادها .

وبمنتهى العنف ، ارتطمت السيارة بباب المرآب ، وأطاحت بـه تمامًا ، وهى تنطلق فى طريقها ..

ولكن المزيد من رجال دونا كانوا هناك ..

وفور رؤية السيارة ، صرخ (ماريو) :

ـ لا تسمحوا لهما بالفرار .

ومرة أخرى دوت الرصاصات فى (تشارلوزفيل) ..

بمنتهى العنف .

★ ★ ★

3ـ انطـلاقـة ..

خُيِّل للسير (ويليام) أنه قد فقد هدوءه الشهير إلى الأبد ، منذ بدأ ذلك التحالف ، الذى يستهدف القضاء على رجل واحد ..

رجل اسمه (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

وفى تلك اللحظة ، داخل الطائرة التى تعبر بـه المحيـط ، من (أوروبا) إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، راوده ولأوّل مـرة ، الشعور بحماقة ما يفعلونه !!..

لمـاذا ؟!..

لماذا كل هذا الجهد للقضاء على رجل واحد ؟!..

ربما كان أبرع رجل ، فى تاريخ أجهزة المخابرات كلها ، ولكن أن تتحد مخابرات أربع دول لمواجهته ، فهذا أمر يفوق كل حد ..

وربما هـذا ما أورثه تلك العصبية ، التى لم يعهدها فى نفسه من قبل قط ..

ربما لأنه لم يعد يشعر بجدوى ما يفعلونه ..

أو أنه يشعر بمنتهى الخطر والتهديد مما يفعلونه !..

فماذا لو اتحدت الأجهزة كلها ، بكل قوتها وخبراتها ، وقاتلت (أدهم صبرى) ، مدعومة بنظمها ودولها ، ثم لم يكتب لها الفوز..

وانهزمت ؟!..

ماذا سيعنى هذا بالنسبة لهم جميعًا ؟!..

بالنسبة لأجهزتهم ..

ونظمهم ..

ودولهم ..

ستكون فضيحة ما بعدها فضيحة ..

يا له من عار !..

ألف ألف ألف عار ..

صحيح أنهم يتبعون أحدث تكنولوجيا العصر ، ويواجهونه بأقوى أسلحتهم ، وأفضل رجالهم ..

ولكن الاحتمال لا يزال قائمًا ..

حتى (فرتيواليتى) لم يستطع ترجيح فوزهم ، بأكثر من اثنين وتسعين فى المائة فحسب ..

وهذا يعنى احتمال فوز (أدهم) ، بنسبة ثمانية فى المائة ..

ووفقًا لأى مقياس عملى ، لا تمثل هذه النسبة أهمية كبيرة ؛ لأنه حتى فى الحروب غير المتكافئة ، لا تبلغ احتمالات فوز الأقوى أكثر من خمسة وثمانين فى المائة ..

ولكن هذا لا يزال يقلقه ..

وبشدة ..

فعندما تتحالف أجهزة مخابرات أربع دول ، فى مواجهة شخص واحد ، أيًا كانت قوته وخبراته ، لا ينبغى أن يكون هناك احتمال واحد للخسارة ، مهما كانت الأسباب ..

وأيًا كانت التطورات ..

ولكنه يعرف تاريخ (أدهم) جيدًا ..

ويعرف قدراته ..

وذكـاءه ..

وبراعته ..

وهذا ما يخيفه ..

إلى أقصى حد ..

« أما زلت قلقًا بشأن ذلك المصرى ؟!.. »

ألقى (جون) السؤال فى هدوء ؛ فانتفض جسد سير (ويليام) على نحو عجيب ، وكأنما أيقظه السؤال بغتة من سبات عميق ، والتفت إلى (جون) فى حدة ، جعلت هذا الأخير يغمغم :

ـ هذا جواب كافٍ .

حاول سير (ويليام) السيطرة على أعصابه أمام مساعده ، وهو يجيب فى لهجة أرادها هادئة ، ولكنها حملت ، على الرغم منه بعض توتره :

ـ لو أهملت التفكير فى خصمك ، فهى فرصة تمنحه إياها ؛ ليفوز عليك .

غمغم (جون) فى ارتباك :

ـ لقد تعلمنا هذا .

أجابه (ويليام) فى صرامة :

ـ المهم أن تذكره .

تنحنح (جون) ، قبل أن يقول :

ـ لم أنسه لحظة واحدة يا سير (ويليام) ، والدليل أن رجالنا فى بلاد اليانكى[*] ، يبلغوننى بما يحدث هناك أوّلاً بأوّل ، عبر رسائل الهاتف المحمول .

(*) اليانكى : اسم يطلقه بعض الأوروبيون على الأمريكيين ، مستخدمين نفس المصطلح ، الذى كان يصفهم به الهنود الحمر ، فى بدايات استيطانهم (لأمريكا الشمالية) .

غمغم سير (ويليام) فى عصبية :

ـ هذا لا يكفى .

أجابه (جون) فى ثقة :

ـ ليس بإمكاننا أن نفعل شيئًا ، حتى نصل إلى هناك أوّلاً .

انعقد حاجبا سير (ويليام) فى تفكير عميق ، وبدا شاردًا لدقيقة كاملة ، لاذ خلالها (جون) بصمت مترقّب ، قائلاً فى حزم :

ـ ربما يمكننا هذا .

وعلى الرغم من حماقة السؤال ، سأله (جون) :

ـ يمكننا ماذا ؟!

لم يحاول (ويليام) إجابته ، وهو يلتقط هاتفه المحمول ، ويجرى اتصاله بمكتب المخابرات البريطانية فى (لندن) ..

وفغر (جون) فاه ، فى دهشة وانبهار ..

لقد أصبح من الواضح أن التحالف لم يعد مجديًا ..

وكل يلعب فى ملعبه الخاص ..

وضد رجل واحد ..

رجل المستحيل ..

★ ★ ★

لو أن (هشام) قد شعر بالانبهار قيراطاً ، عندما التقى بـ (أدهم) لأوّل مرة ، فقد تحوّل هذا الانبهار إلى مئات الأفدنة ، فى تلك اللحظات ، فى (تشارلوزفيل) ..

لقد اقتحم (أدهم) بتلك السيارة الرياضة باب المرآب ، وباغت رجال (ماريو) ، ولكنهم لم يفقدوا سيطرتهم على أنفسهم سوى لحظة واحدة ..

ولأنهم محترفون ، فقد انطلقت رصاصاتهم بعدها نحو الهدف ..

وفى غزارة مخيفة ..

وعلى الرغم من أن سيارة (أدهم) الرياضية مجرّد سيارة عادية غير مصفّحة ، فقد انطلق بها فى مهارة مذهلة ، دون ذرة واحدة من التردّد أو التوتر أو الخوف ، وسط سيل الرصاصات المنهمر ..

لقد انحرف فور خروجه من المرآب ، وارتطم بثلاثة رجال أمامه ، فأطاح بهم ، ثم مال بسرعة مدهشة ، على نحو بالغ الخطورة ؛ ليرتطم برجلين آخرين ..

ولأن رجال دونا اعتادوا السيطرة على الأمور من خلال جرأتهم وأسلحتهم وغزارة نيرانهم ، فقد أربكتهم مواجهتهم لرجل يفوقهم جرأة ، مما جعلهم يتراجعون فى ارتياع ، فاندفع (أدهم) بينهم بسرعة خرافية ، و(لوتشيانو) يهتف بالرجال فى غضب :

ـ أوقفوه بأى ثمن .

كان (هشام) راقداً فى قاع السيارة ، والرصاصات تتطاير فوقه ومن حوله ، وزجاج السيارة يتهشّم ، ويتطاير فوق رأسه ، ويملأ أرضية السيارة من حوله ، فى حين لم ينحن (أدهم) لحظة واحدة ، وهو يواصل اندفاعه ، متجاوزاً حصار رجال (ماريو) ، الذين لم يكتمل عددهم بعد ..

ولثوان ثمينة وقف (ماريو) و(لوتشيانو) يحدقان فى السيارة ، التى حملت طناً من رصاصاتهم ، وهى تندفع مبتعدة ، وقد تحطمت كل نوافذها ، قبل أن ينتفض (ماريو) فى غضب هادر ، صارخاً :

ـ خلفه .

انطلق الرجال عائدون إلى سيارتهم ، وصرخت إطارات سياراتهم فى عنف ، فوق طرقات (تشارلوزفيل) ، وهى تنطلق خلف (أدهم) ، فى أعنف مطاردة شهدتها المدينة ، فى تاريخها كله ..

وربما أوّل مطاردة ..

ما يقرب من عشرين سيارة قوية ، رباعية الدفع ، انطلقت تطارد سيارة رياضية واحدة ..

سيارة تضم متدرّب جديد ، فى عالم المخابرات ، مع مدرّبه ، الذى يُعَدُّ أخطر رجل مخابرات عرفه العالم ..

وأعظمهم ..

على الإطلاق ..

ولأننا لم نعد فى زمن المعجزات ، صار من الواضح أن النتيجة ستحسم لصالح رجال دونا ..

حتمًا ..

★ ★ ★

« إنهم يطاردونه عبر شوارع (تشارلوزفيل) .. »

نطقها الكولونيل (سميث) فى انفعال ، وهو يتحدّث مع رئيسه (موريس مولر) هاتفيًا ، من داخل الهليوكوبتر ، التى تعود به إلى واشنطن ، فأجابه (مولر) فى توتر :

ـ إذن فقد نجا .

تجاهل (سميث) العبارة ، وهو يكمل :

ـ أكثر من عشرين سيارة قوية تطارده ، و ...

قاطعه (مولر) فى توتر أكثر ، مكرّرًا :

ـ إذن فقد نجا .

انعقد حاجبا (سميث) ، وهو يقول فى حنق :

ـ مؤقتًا يا سيِّدى .. مؤقتًا .. احسبها بكل وسيلة ممكنة ، وستجد أن نجاته هذه المرة مستحيلة .. رجال دونا لا يتحركون قط إلا وفق خطة مدروسة ، وأراهنك أنهم يحفظون شوارع وطرقات

(تشارلوزفيل) عن ظهر قلب ، وسيطوقون (أدهم) هذا ، ويحاصرونه بسياراتهم القوية ، ويمطرونه برصاصاتهم ، و ...

قاطعه (مولر) مرة أخرى فى عصبية :

ـ إنه ثعلب .

ضمَّ (سميث) شفتيه فى سخط ، قائلاً فى حدة ، لا تتناسب مع فارق الرتب الكبير :

ـ حتى الثعلب ، مهما بلغ مكره ، لا يمكنه الفرار من قطيع ذئاب يستهدفه تحديدًا .

سمع زفرة ملتهبة أطلقها (مولر) ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ سنرى .

قال (سميث) فى سرعة :

ـ هذا لا يكفى .

صدم الأسلوب (مولر) ، فهتف بكل عصبيته وغضبه :

ـ ماذا ؟!

انتبه (سميث) عندئذ فقط إلى تجاوزه ، فتراجع فى سرعة ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيِّدى .. إنما قصدت ضرورة أن يكون لنا دور إيجابى ، فى هذه المرحلة من اللعبة .

زمجر (مولر) ، قائلاً :

ـ ولكن خطة التحالف تنصّ ..

قاطعه (سميث) ، متجاوزًا مرة أخرى فارق الرتب :

ـ سيِّدى .. خطة التحالف انهارت ، عندما أرسلت دونا (كارولينا) رجالها ، وأفضل ما يمكننا فعله الآن ، هو أن ندخل اللعبة بكل قوتنا ؛ لأنه لو نجح (أدهم) هذا فى الفرار من رجال (المافيا) ، فربما لانعثر عليه بعدها أبدًا .

بدا كلامه شديد المنطقية ، حتى أن (مولر) ، بحكم طبيعته كرجل مخابرات محترف ، تجاوز كل مشاعره ، وتساءل فى اهتمام قلق :

ـ ماذا تقترح ؟!

أجابه (سميث) بمنتهى الحزم :

ـ (المارينز) .

وصمت (مولر) تمامًا ..

فاقتراح (سميث) كان يعنى نقل العملية برمتها إلى مرحلة جديدة ..

مرحلة تقليدية ..

ولكنها بالغة الخطورة ..

إلى أقصى الحدود ..

★ ★ ★

على الرغم من من تجاوزهما سيل الرصاصات المنهمر ، وانطلاق (أدهم) بأقصى سرعة تسمح بها سيارته الرياضية ، ظل (هشام) قابعًا فى قاع السيارة ، حتى قال (أدهم) فى صرامة :

ـ ينبغى أن تعتاد المواجهة .

هتف (هشام) :

ـ ليست مواجهة .. إنها مذبحة .

قال (أدهم) بنفس الصرامة :

ـ اعتدل ، حتى يمكننى سماعك .

أدرك (هشام) على الفور أنه أمر غير مباشر بالنهوض ومواجهة الخطر ؛ فالتقط نفسًا عميقًا ، واعتدل يلتفت خلفه ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى جيش السيارات ، الذى يطاردهما فى شراسة ، ويهتف :

ـ رباه !.. لن يمكننا أن ننجو منهم أبدًا .

قال (أدهم) فى صرامة أكثر :

ـ أسخف عبارة يمكن أن ينطقها رجال مخابرات .

هتف (هشام) ، وهو يحاول الانكماش فى مقعده :

ـ بكل منطق فى الدنيا ...

قاطعه (أدهم) :

ـ أى منطق ؟!

قال فى عصبية مرتجفة :

ـ لا يوجد سوى منطق واحد .

أجابه (أدهم) بمنتهى الصرامة ، وهـو يتابع مطارديه ، عبر ما تبقى من مرآة سيارته الخارجية :

ـ خطأ .. لكل منطق يخالف الآخر ، فـالموظف العادى ، الذى يقضى معظم حياته خلف مكتبه ، يرى أنه من غير المنطقى أن يقفز شخص آخر بمظلة ، فى منطقة حرب ؛ لينفذ عملية سرية ، والعكس بالعكس .

انكمش (هشام) فى مقعده ، قائلا فى توتر شديد :

ـ هناك منطق عام .

انحرف (أدهم) بالسيارة على نحو مباغت ، قائلاً :

ـ حذار .. فالهزيمة تبدأ دومًا من الداخل ، قبل أن تتفجَّر من الخارج ، والمرء ينهزم ، فور شعوره بذلك .

ظهرت مجموعة أخرى من السيارات رباعية الدفع ، عند بداية الطريق ، الذى انحرف إليه (أدهم) ، فهتف (هشام) فى ارتياع :

ـ رباه !.. هل تحـاول إقناعى بأنه مجرد إحساسنا بالنصر قد يجلبه ؟!

أدهشـه أن واصل (أدهـم) انطلاقتـه نحـو السيارات القويـة ، وهو يقول فى حزم شديد :

ـ كـلا بالطبع .

كان ركاب السيارات المواجهة يصوبون مدافعهم الآلية نحو السيارة الرياضيـة ، فاتسعت عينـا (هشـام) عن آخرهمـا ، فـى نفس اللحظة التى انحرف فيها (أدهم) انحرافة مباغتة ، مندفعًا نحو مركز تجارى كبير من طابق واحد ، وهو يكمل :

ـ لابد وأن يسبق هذا تخطيط دقيق ، ودراسة مستفيضة .

واندفع نحو مدخل الجراج الأرضى للمركـز التجـارى ، مضيفًا فى حزم :

ـ وحفظ تام لخريطة الطرق .

انحرافته المفاجئة أربكت خصومـه ، من أمامـه وخلفه ودوت بعض رصاصـاتهم ، التـى لـم تجد هدفهـا ، فأصابت رفـاقهم فـى سيارات المواجهـة ، قبل أن يرتفـع صرير الإطـارات للسـيارات المرتبكة ، التى لم ينجح معظمها فى تفادى الارتطام ..

ومن سيارته ، هتف (ماريو) برجاله ، عبر نظام اتصال مغلق :

ـ المكان الذى دخله له ستة مخارج .. أسرعوا بمحاصرتها كلها فورًا .

كان الرجال يحاولون الدوران حول المركز التجارى ، لسد كل مخارجه ، فى نفس الوقت الذى اندفع فيه (أدهم) بكل قوته ، عبر الجراج الواسع ، متفاديًا أعمدة المسلح الضخمة فى طريقه ، فتشبَّث (هشام) بمقعده ، هاتفًا :

ـ سيحاصرون كل المخارج .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ هل نسيت القاعدة الهندسية الشهيرة ؟!

سأله (هشام) بكل توتره :

ـ أية قاعدة ؟!

أجابه فى حزم ، وهو يندفع نحو مدخل فى مواجهته مباشرة :

ـ أقرب الطرق من نقطة إلى أخرى ، هى الخط المستقيم .

كان هناك عشر سيارات تطارده داخل الجراج ، عندما اندفع خارجه فى سرعة مخيفة ، محطمًا الحاجز الخشبى الذى يسد الطريق ، وقافزًا فوق الشارع الواسع ، قبل أن تكمل السيارت الأخرى دورانها ، حول المركز التجارى نفسه ..

وهذا ما كان يعنيه بقاعدته الهندسية الذهبية ..

لقد عبر الجراج تحت الأرض ، من مدخله إلى المخرج المواجه مباشرة ، فى حين اضطر القسم الأعظم من خصومه إلى الدوران حول المبنى كله ..

والخط المستقيم هو أقرب الطرق ..

وأسرعها ..

لذا فقد اندفع فى الطريق الخلفى بأقصى سرعته ، قبل حتى أن تصل سيارات رجال دونا إلى المخرج ..

ومرة أخرى شهدت شوارع (تشارلوزفيل) مطاردة عنيفة ..

رهيبة ..

ووحشية ..

ولكن فكرة ما راحت تتكوَّن فى ذهن (هشام) ، على الرغم من صعوبة الموقف ..

فكرة أن (أدهم) لديه خطة ما ..

خطة لم يفصح عنها ..

ولكنه يعرف طريقها جيدًا ..

فعلى الرغم من عدد مطارديه وشراستهم ، كان يشق طريقه فى ثقة ووضوح ، على نحو يوحى بأنه يعرف هدفه جيدًا ..

« لديك خطة هروب .. أليس كذلك ؟!.. »

لم يجبه (أدهم) ، وهو يندفع نحو جراج متعدِّد الطوابق ، خلف مستشفى (تشارلوزفيل) مباشرة ..

ومن بعيد ، غمغم (ماريو) فى توتر ، لم يواجه مثله من قبل قط :

ـ ماذا يفعل هذا الأحمق ؟!.. لو دخل هذا المكان ، فسيكون قد وقع فى قبضتنا حتمًا .

تمتم (لوتشيانو) فى عصبية مستنكرة :

ـ أحمق .

التفت إليه (ماريو) بحركة حادة ، وبدا وكأنه سيسبه فى غضب ، إلا أنه لم ينطق بشىء ، وإنما عاد يلتفت إلى مدخل الجراج متعدِّد الطوابق ، والذى اقتحمه (أدهم) بمنتهى السرعة ، وراح يندفع داخله ، يطارده جيش من سيارات رجال دونا ، عبر الطوابق المختلفة ..

ولأنه أكثر جرأة وبراعة وتماسكًا ، كان يسبقهم بعدة أمتار ..

حتى بلغ السطح ..

وفى جرأة مخيفة ، وبأقصى سرعة تسمح بها محركات السيارة ، التى تضاعف وزنها ، من كثرة ما استقر فيها من الرصاصات ، اندفع نحو حافة السطح ، المواجهة لسطح المستشفى ، الذى خلا إلا من هليوكوبتر طبية قابعة هناك ، وتحمل شعار الشركة الراعية لها ..

ومع هلعه وارتياعه ، صاح (هشام) محذرًا :

ـ لا .. لن يمكنك أن تفعلها .

وخلف (أدهم) ، توقَّفت كل السيارات المطاردة فى ذهول وانبهار ، وغمغم (لوتشيانو) :

ـ يا للمجنون !

اندفع (أدهم) مباشرة نحو لوحين من الخشب ، استندا بميل كبير على حافة حاجز السطح ، على نحو يوحى بأنهما هناك لهدف محدود ..

وبأقصى سرعته قفز (أدهم) بسيارته الرياضية فوقهما ، فمالت مع ميلهما وهى تندفع خارج السطح ..

ثم إلى الهواء مباشرة ..

ومن حلق (هشام) انطلقت شهقة قوية مذعورة ..

فالسيارة تطير فى الهواء ، قاطعة المسافة بين السطحين بسرعة مخيفة ، وعلى نحو يوحى بأنه مقصود تمامًا ..

وعرف (هشام) عندئذ خطة (أدهم) ، ولكنه تساءل فى أعماقه فى ارتياع ، تُرى هل وضع (أدهم) فى حساباته زيادة وزن السيارة ، مع كل ما تحويه من رصاصات ؟!..

هـل ؟

★ ★ ★

4- المارينز..

على ارتفاع منخفض ، انطلقت الطائرات الروسية ترصد كل شبر ، من أرض (سيبيريا) الواسعة ، فى نفس الوقت الذى راحت فيه الأقمار الصناعية تلتقط كل الصور الممكنة للمنطقة الجليدية ، بحثًا عن كل ما يمكن أن يثير لمحة من الاشتباه ..

« من الوحدة الخامسة إلى القيادة .. كل شىء يبدو طبيعيًا ، ومطابقًا لطبوجرافية الكمبيوتر(*) ، المسجلة فى طائراتنا .. »

استقبل (ماليكوف) النداء فى مكتبه ، فقال فى حنق :

- وكيف هذا ؟! هل انطلق ذلك الوغد الإسرائيلى فى أعماق (سيبيريا) ، فقط ليثير سخطنا أو يعبث بنا ؟!..

أجابه (بولانسكى) فى اهتمام :

- ولكن تقرير طائرات البحث يتفق مع صور الأقمار الصناعية أيها الرفيق الجنرال .

(★) طبوجرافيا : فن دراسة واختبار التضاريس وإعادة تكوينها ، على نحو ثلاثى الأبعاد ، من خلال رسم ميدانى ، أو صور جوية ، أو تخطيط هندسى ، أو خريطة مطبوعة ، بحيث يمكن تحديد المواقع النسبية والارتفاعات والمنخفضات ، والمساحات الممهّدة وغير الممهّدة .

زمجر (ماليكوف) ، قائلاً :

ـ قلنا لا تستخدم هذا المصطلح .

تراجع (بولانسكى) فى سرعة ، قائلاً :

ـ معذرة يا جنرال ، ولكننى كنت أقصد أنه حتى صور الأقمار الصناعية ، لم تأت بجديد .. ما يوجد الآن فى (سيبيريا) ، هو نفس ما كان بها ، فى الرابع من يونيو الماضى .

انعقد حاجبا (ماليكوف) الكثين فى شدة ، وهو يقول :

ـ ولكن فى قلب (سيبيريا) .. أشخاص يمتلكون ما يكفى لإرسال سيارات قوية عبر الثلوج ، وإقامة مهبط طائرات مؤقت ، واستخدام طائرة هليوكوبتر دون تصريح مسبق .. أشخاص يتحدون القانون ، بكل وقاحة وغطرسة .

هتف (بولانسكى) فجأة :

ـ (أبل كوربوف) .

رفع (ماليكوف) عينيه إليه بحركة حادة ، فأكمل فى حماس :

ـ زعيم (المافيا) الروسية .

قال (ماليكوف) فى عصبية :

ـ أعلم من هو .

تابع (بولانسكى) ، دون أن توقفه عصبية رئيسه :

ـ لا يخفى على أى رجل أمن أنه يحتفظ بقصر فى قلب (سيبيريا) ، يجرى فيه مقابلاته الهامة ، ويعقد فيه صفقاته الكبرى .

زمجر (ماليكوف) مرة أخرى ، قائلاً فى غضب :

ـ ونحن نتركه يفعل ؟!..

قلب (بولانسكى) كفيه ، وكأنما يشير إلى أن الأمر ليس بيده ، فقال (ماليكوف) فى صرامة ، حملت كل العصبية ، التى تعتمل داخله :

ـ أكمل .

قال (بولانسكى) فى اهتمام :

ـ (كوربوف) هو الشخص الوحيد ، الذى يمتلك كل الصفات الكافية ، والذى يستطيع إقامة مهبط الطائرات المؤقّت .

تراجع (ماليكوف) فى مقعده مفكرًا ، وهو يقول فى توتر :

ـ ولماذا يسعى رجل مخابرات ، لمقابلة زعيم (المافيا) الروسية ؟!

مال (بولانسكى) نحوه ، قائلاً :

ـ أنت تعرف الإسرائيليين مثلى يا سيِّدى .. إنهم مستعدون للتحالف مع الشيطان نفسه ، دون ذرة من التردُّد ؛ لو أن هذا يحققَّ مصالحهم .

حكَّ (ماليكوف) ذقنه بيده ، مغمغمًا فى تفكير عميق :

ـ ولكن أية مصالح يمكن أن يحققَّها لهم زعيم (المافيا) ؟!

قال (بولانسكى) فى حزم عميق :

ـ من يدرى ؟!

رفع (ماليكوف) عينيه إليه فى بطء ، مجيبًا فى صرامة :

ـ نحن .

ثم اعتدل بحركة حادة ، مكملاً :

ـ نحن ينبغى أن ندرى ، مادامت اللعبة تجرى على أرضنا .

اعتدل (بولانسكى) بدوره ، واتخذ وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول :

ـ أوامرك يا جنرال .

أشار إليه (ماليكوف) فى صرامة ، قائلاً :

ـ صور الأقمار الصناعية يمكن خداعها بسهولة ، وكذلك طائرات الاستطلاع ، فكلها ترى الأمور من أعلى فقط ، وهذا لا يكفى لجمع معلومات مناسبة .

كرَّرَ (بولانسكى) فى حزم :

ـ أوامرك يا جنرال .

عقد (ماليكوف) كفيه ، وهو يقول بلهجة آمرة :

ـ ماجور (بولانسكى) .. سأسند إليك مهمة خاصة .. خاصة جدًّا .

والتمعت عينا (بولانسكى) بشدة ..

فهذا ما كان ينشده ..

تمامًا ..

* * *

لثانية أو ثانيتين ، تجمَّد المشهد تمامًا بالنسبة للجميع ..

سيارة (أدهم) الرياضية بدت أشبه بطائرة صغيرة ، تسبح فى الهواء ، بين سطح الجراج متعدِّد الطوابق ، وسطح المستشفى ..

وعلى الرغم من قصر تلك الفترة جدًا ، انطلقت في رءوس الجميع أسئلة عديدة .. (لوتشيانو) تساءل : هذا الرجل مجنون ؟!..

وهل يعتقد أنه سينجح في بلوغ سطح المستشفى ، الذي يبعد عشرة أمتار كاملة على الأقل ؟!

و(ماريو) سأل نفسه : كيف يمكن أن يكون هناك شخص يمثل هذه الجرأة ؟!..

أما (هشام) ، فقد تركّز تفكيره كله حول سؤال واحد ..

هل سينجوان ؟!..

وفي نفس اللحظة ، التي تفجّر فيها السؤال في رأسه ، سمع (أدهم) يقول في صرامة :

- اقفز .

اتسعت عيناه في هلع ، وهو يهتف :

- ماذا ؟!

صرخ فيه (أدهم) بكل قوته :

- اقفز .. هذا أمر .

كانت السيارة ، في تلك اللحظة ، قد توقّفت عن الارتفاع والانطلاق في الهواء ، وبدأت رحلة الهبوط ..

وبدا واضحًا للجميع أنها لن تكمل رحلتها ..

ولن تصل إلى السطح ..

أبدًا ..

وكان من الجنون ، كل الجنون ، أن يقفز (هشام) منها ، على ارتفاع يقرب من الثلاثين مترًا ، عن سطح الأرض ..

ولكن صرخة (أدهم) ألغت تفكيره ، وجعلته ينفذ الأمر بسرعة ، ودون مناقشة أو تردُّد ..

وقفز ..

قفز في نفس اللحظة ، التي لامس فيها إطارا السيارة الرياضية الأماميين سطح المستشفى ، قبل أن تميل إلى الخلف في شدة ، لعجز إطاريها الخلفيين عن بلوغ السطح ..

ومع قفزته ، ارتطم جزء من جسد (هشام) بالسطح ، ولكن معظم جسده ظل خارجه ؛ لذا فقد انزلق جسده بسرعة وبدأ يهوي ، في نفس الوقت الذي هوت فيه السيارة الرياضية كلها ، وشاهدها هو تغوص في الهواء إلى أسفل بسرعة كبيرة ..

وانطلقت من حلقه شهقة أخرى ..

شهقة تعني أنه عاجز عن التشبُّث بشيء ..

أي شيء ..

وأنه سيلحق بالسيارة فى سقوطها ..

حتمـًا ..

ولكن فجأة ، وفى اللحظة الأخيرة ، أمسكت به يد (أدهم) فى قوة ، وجذبته جذبة مدهشة ، وثب معها جسده كله ، ليجد نفسه واقفًا على طرف السطح ، فى مواجهة (أدهم) ، الذى قال بنفس الصرامة :

ـ هيـا .

ثم جذبه وهو يعدو معه ، نحو الهليوكوبتر الطبية ..

ولثانية أو يزيد ، تجمَّد (ماريو) و(لوتشيانو) ورجالهما ، مع انبهارهم بهذا المشهد الخرافى ، قبل أن ينتفض (ماريو) ، صارخًا :

ـ أطلقوا النار .

ومرة أخرى ، شهدت (تشارلوزفيل) ما لم تشهده ، فى تاريخها كله ..

دوى عشرات الرصاصات تنطلق ، على مسافة دستة من الأمتار من المستشفى ، تنهمر على سقفها ، مثيرة فزع المرضى ، والأطباء وطاقم التمريض والفنيين ، وحتى زوار المستشفى ، ومحاولة اصطياد (أدهم) و(هشام) ، اللذين يعدوان نحو الهليوكوبتر الطبية ، ويقفزان داخلها ، و(هشام) يهتف :

ـ رصاصاتهم ستنسف الهليوكوبتر .

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ كلا .. إنها هليوكوبتر مصفحة ، تتبع مؤسسة (أميجو) ، والشعار الطبى عليها مجرَّد خداع .

سأله (هشام) فى دهشة ، ورصاصات رجال دونا تصيب جسم الهليوكوبتر ، وترتد عنه بالفعل :

ـ وما مؤسسة (أميجو) هذه ؟!

أدار (أدهم) محركات الطائرة ، وارتفع بها عن السطح ، وهو يقول فى حزم :

ـ ربما أشرح لك الأمر ذات يوم .

تفجَّر غضب الدنيا كله فى أعماق (ماريو) ، وهو يتابع الهليوكوبتر ، التى انطلقت مبتعدة ، فى حين غمغم (لوتشيانو) :

ـ مستحيل !.. هذا الرجل مستحيل .

التفت إليه (ماريو) فى حدة ، صارخًا :

ـ اصمت .

ارتبك (لوتشيانو) ، وهو يغمغم :

ـ كنت أقصد أن ...

صرخ فيه (ماريو) :

ـ قلت اصمت .

أطبق (لوتشيانو) شفتيه ، إلا أن أحد الرجال الآخرين هتف :

ـ سنيور (ماريو) .. ينبغى أن نرحل بأقصى سرعة .

التفت إليه (ماريو) ، صارخًا :

ـ لا تصدر لى تعليمات .

هتف الرجل ، وهو يشير إلى أعلى :

ـ ليست تعليمات يا سنيور .

رفع (ماريو) عينيه فى سرعة ، نحو النقطة التى يشير إليها الرجل ، وامتقع وجهه فى شدة ..

فقد وقع بصره على سبع طائرات هليوكوبتر ، تتجه نحوهم ..

سبع طائرات تحمل كلها شعارًا مخيفًا ..

شعار مشاة البحرية الأمريكية ..

المارينز ..

* * *

غرق مسئول المخابرات الأمريكى (موريس مولر) فى تفكير عميق ، وهو يجلس خلف مكتبه صامتًا ، عبر النافذة المجاورة إلى ساحة ذلك المبنى فى (لانجلى)(*) ، وهو شارد تمامًا ..

خبرته الطويلة ، ودراسته المستفيضة لملف (أدهم صبرى) ، تصيبانه بحالة من القلق الشديد تجاه ما يحدث ..

لقد بدأت الأمور على نحو يوحى بأنها خطة محكمة شديدة الإتقان ..

خطة تتحالف فيها أجهزة مخابرات أربع دول ، لم تتجمع فى حرب واحدة ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ..

حتى خلال احتلال العراق ، لم يبلغ التعاون هذا الحد .. مطلقًا ..

ولكن كل شىء فسد فجأة ، بسبب حماقة زعيمة (المافيا) .. أو بسبب ذكائها !!..

(*) لانجلى : منطقة متعددة الاستخدامات ، السكنية والإدارية ، أشبه بالمدن الجديدة فى (مصر) ، وهى تقع فى ولاية (فرجينيا) الأمريكية ، وفيها مقر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى وقت كتابة هذه السطور ؛ حيث يتم إنشاء مقر جديد حاليًا .

البريطانيون يرون أنها قد فعلت هذا عمدًا ؛ لتحذير (أدهم) مما يحاك له ، على نحو غير مباشر ..

والروس يرون أنها حماقة النساء ؛ لأنهم لا يثقون فى ذكاء امرأة قط ..

والإسرائيليون يلزمون الصمت ، وكأن الأمر كلـه لا يخصّهم ، على الرغم أنهم من دفع الجميع إلى اللعبة منذ البداية ..

هم صمموا (فرتيواليتى) ..

وهم تفاوضوا مع الكل ..

وجمعوهم ..

وأطلقوهم خلف (أدهم) ..

ولكن ما يقلقه بحق ، هو أنهم لم ينطلقوا معهم !!..

لقد دفعوا الجميع إلى مطاردة (أدهـم) فـى شراسـة ، وإغلاق كل طريق فى وجهه ، والانشغال طول الوقت بأمره ، واكتفوا هم بالمراقبة والمتابعة ..

أو بعمل آخر ..

قفزت العبـارة الأخيرة إلـى رأسـه بغتـة ، فـانعقد حاجبـاه فـى شدة ، ووثب من خلف مكتبه بحركة حادة ..

نعم .. هذا هو التفسير الوحيد ..

والمخيف ..

الإسرائيليون أطلقوا الجميع خلف (أدهم) ، حتـى يبعدوا كـل الأعين عنهم ..

وهـذا يعنـى أنهـم يقومـون بـأمر خطير ، يخشـون أن يعرفـه الآخرون ..

أو أن يلتفتوا حتى إليه ..

وهذا يعنى أنه أمر شديد الأهمية والحساسية بالنسبة لهم ..

وبالنسبة لقوتهم وتفوّقهم ..

اشتعلت الفكرة فى رأسـه أكثر وأكثر ، وهو يعود إلى مقعده فى بطء ، ويتطلّع عبر النافذة فى شرود كامل ، قبل أن يخطف سمّاعة الهاتف اختطافًا ، ويطلب رقمًا شديد الخصوصية ، ويقول فى انفعال :

- (موريس مولر) .. مـن لانجلـى .. أريـد تحديـد موعـد مـع الرئيس .. نعم .. الرئيس شخصيًا .

قالها وحاجباه ينعقدان فى شدة ..

بمنتهى الشـدة ..

* * *

اضطراب شديد ، ذلك الذى أصاب (ماريو) ورجاله ، فور وصول طائرات قوات المارينز الأمريكية ..

فحتى (أمريكا) نفسها ، تعتبر قوات المارينز هذه هى درة قواتها ..

رجال تم تدريبهم على أعلى مستوى من المهارة ، واللياقة البدنية ، وحسن التفكير والتدبير ..

رجال لا يتم إرسالهم إلا إلى المهام الصعبة ..

والصعبة جدًا ..

لذا ، فقد انطلق (ماريو) ورجاله يفرون بمنتهى الفوضى ، فور ظهور طائرات الهليوكوبتر ، وتصوَّروا كلهم أن نيران المارينز ستنهال عليهم كالمطر ، مع صواريخ طائراتهم ، بعد كل ما أثاروه من فوضى فى (تشارلوزفيل) ..

ولكن المدهش أن قوات المارينز لم تتوقَّف عندهم لحظة واحدة ..

لقد واصلت انطلاقها ، متجاوزة كل شىء ؛ لتلحق بهدفها الرئيسى ..

(أدهم) ..

ومن موقعه ، وبكل ما تموج به أعماقه من توتر وانفعال ، لمح (هشام) قوات المارينز ، التى تنطلق هليوكوبتراتها خلفهما ، فغمغم ، غير قادر على رفع صوته ، من شدة انفعاله :

- المارينز .

انعقد حاجبا (أدهم) وهو يدرس الموقف كله مرة أخرى ..

نعم .. إنها قوات المارينز ..

أخطر قوات عسكرية ، فى الولايات المتحدة كلها ..

وهم يطاردونه بسبع طائرات هليوكوبتر ..

ووفقًا لمعلوماته ، تلك الطائرات يقودها أمهر طيارى القوات البحرية الأمريكية ، وأكثرهم براعة وجرأة وخبرة ..

ربما كانت الهليوكوبتر مصفحة ، ضد رصاصات المدافع الآلية ، ولكنها لن تصمد أمام أوَّل صاروخ من صواريخ المارينز ينجح فى إصابتها ..

وسبع طائرات هليوكوبتر ستظفر به حتمًا .

أيًا كانت مهارته ..

إنها تفوقه قوة ..

وسرعة ..

وتسليحًا ..

فى نفس اللحظـة ، التـى دارت فيها الفكرة فـى رأسـه ، لمـح صاروخًا ينطلق ، من إحدى طائرات الهليوكوبتر ، فجذب عصا القيادة بكل قوته ، وارتفعت به الهليوكوبتر على نحو مبـاغت ، ليتجـاوز ذلك الصاروخ فى اللحظة الأخيرة ، ويفارق سنتيمترات قليلة ..

وأمـام عينـى (هشـام) المتسـعتين ، واصل الصـاروخ طريقـه لبضعة أمتار ، ثم دار حول نفسه ، وكأنه كائن مفكّر وعاد ينطلق نحوهما مرة أخرى ..

كان من الواضـح أن صواريخ المارينز مزوّدة بأجهزة توجيـه خاصة ..

أجهزة تسمح لها بمطاردة هدفها وملاحقته ، مهما حاول الفرار ..

ولقد أطلقت طـائرات المـارينز صاروخـًا آخـر ، قبـل أن يصل إليهما الأوّل ..

وعندئذ ، أدرك (هشام) أنـها النهـاية ..

بلا أدنى أمل ..

وبينمـا أغمض عينيـه بكل قـوتـه ، دار (أدهـم) بالهليوكوبتر بحركة سريعة ، فـارتفع بهـا ، مـع دورة خلفيـة مـاهرة ، قبـل أن يهبط بسرعة مفاجئة ..

ومع الحركات المتصلة العنيفة ، فتح (هشام) عينيـه ، وما إن وقع بصره على المشـهد أمامه ، حتى اتسعت عينـاه عن آخرهما فى دهشة مذعورة ..

فما يقدم عليه (أدهم) كان مذهلاً ..

إلى أقصى حـد ..

★ ★ ★

نهض مدير المخابرات المصرية يستقبل (حسـن) فـى احترام وترحاب ، وهو يقول فى حرارة :

ـ سيد (حسن) ، كم تسعدنى رؤيتك ، بعد كل هذه السنوات .

بـدا (حسـن) رصينًـا ، على الرغـم مـن السعادة المطلـة مـن عينيه ، وهو يقول :

ـ سعادة متبادلة يا سيادة الوزير .

ربّت المدير على كتفه ، قائلاً :

ـ لست وزيرًا هنا .. إننى ألتقى بصديق قديم ، واستخدام أيـة ألقاب رسمية يفسد متعة اللقاء .

ثم انتقل من خلف مكتبه ، ليجلس على مقعد مواجه للذى دعا (حسن) للجلوس عليه ، وهو يقول :

ـ ما زالت أذكر أيامنا الأولى ، عندما أنشأنا معًا هذا الجهاز .

تنهَّد (حسن) ، قائلاً :

ـ كانت أيامًا مختلفة .. كنا فى أوج شبابنا وحماسنا ، وكنا نعمل ليل نهار ، لإقامة هذا الصرح الضخم .

أشار المدير بيده ، وهو يقول فى فخر :

ـ إنه اليوم أفضل مما كان عليه بآلاف المرات .

قال (حسن) فى رصانة :

ـ بالتأكيد .

ثم اعتدل فى مجلسه ، مستطردًا :

ـ إننى سعيد بالتأكيد بعودتى إلى الجهاز ، بعد كل ما شهده من تطوير ، ولكننى واثق من أنك لم تطلب منى الحضور لأرى هذه التطورات فحسب .

صمت المدير بضع لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ هذا صحيح .

واعتدل بدوره ، مضيفًا :

ـ الواقع أننى استدعيتك لأمر يهمك .

سأله (حسن) فى قلق :

ـ أى أمر ؟!

صمت المدير لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ (هشام) .

التقط (حسن) نفسًا عميقًا ، وقال فى انفعال ، لم يستطع إخفاءه ، على الرغم من سنوات العمل الطويلة فى المخابرات :

ـ أنت تعرف أننى ربيت (أدهم) تقريبًا ، بعد مصرع (صبرى) ، وقمت بمواصلة البرنامج ، الذى وضعه الراحل بشأنه ، وهذا ما شجعنى على أن أطلب منه ...

قاطعه المدير فى اهتمام :

ـ الأمور تطوَّرت أكثر مما توقَّعت .

امتقع وجه (حسن) ، وهو يسأله :

ـ كيف ؟!.. ماذا حدث ؟!

أجابه المدير ، وهو يميل نحوه :

ـ مكتبنا فى (واشنطن) أرسل بعض مراقبيه إلى (تشارلوزفيل) ؛ لتأمين (ن ـ 1) هناك ، إذا مـا دعت الضرورة ، ولقد أبلغونـا ، فـى برقية عاجلة ، أن جيشًا من الخارجين عن القـانون ، اشتبك مـع (ن ـ 1) ، الذى يختبئ بصحبة حفيدك ، فـى واحد من منازلنـا الآمنة هناك .

ازداد امتقاع (حسن) بشدة ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !.. يا إلهى !

نهض المدير من مقعده ، ولوَّح بيده ، قـائلاً فـى شىء ، من الانفعال :

ـ هـذا ما كنت أخشـاه .. فـ (ن ـ 1) أشبه بمغناطيس كبير ، يجذب إليه الخطر أينما ذهب .. المهمة كان ينبغى أن تكون بسـيطة ، ومجرَّد عملية تدريب ميدانى ، ولكن يبدو أنهم كـانوا يتوقَّعون قدومه على نحو ما ، بل وينتظرونه هناك ، متربصين به ..

قال (حسن) فى ارتباك :

ـ ولكن كيف ؟!.. لقـد تـم الأمـر كله بسرعة ، ولا يمكنهم أن يتوقعوا لجوئى إلى (أدهم) ؟!

أشار إليه المدير ، قائلاً فى حزم :

ـ هذا هو السؤال .. كيف عرفوا ؟!

اتسعت عينا (حسن) ، وهو يهتف من مقعده ، قائلاً :

ـ لعلك لا تتصورَّ أن ..

هتف المدير مقاطعًا :

ـ معاذ الله يا (حسن) .. أنت فوق مستوى الشبهات .

ثم عاد إلى مقعده ، مكملاً :

ـ ولكن هناك لغز فى الأمر كله .. لغز يحتاج إلى تفسير .

ونهض مرة أخرى ، ليجلس خلف مكتبه ، متابعًا :

ـ وإلى معلومات .

طلب رقمًا قصيرًا ، ثم رفع سمَّاعة هاتفه ، قائلاً :

ـ أريد إرسال تعليمات عاجلة ، لعملينا الخاص داخل (الموسـاد) .. وفورًا .

وأنهى المحادثة فى سرعة ، فغمغم (حسن) فى توتر :

ـ ولمـاذا (الموساد) ؟!

أجابه المدير فى صرامة :

ـ إما أنهم وراء هذا ، أو يعلمون به على الأقل .

غمغم (حسن) :

ـ ليس بالضرورة .

قال المدير بنفس الصرامة :

ـ ولكنه احتمال كبير .

وتراجع فى مقعده ، متابعًا فى حزم :

ـ ثم إن عليلنا هناك فى موقع شديد الحساسية ، يسمح له بالاطلاع على المعلومات السرية ، الواردة من (موسكو) و(واشنطن) ، و ...

قبل أن يكمل عبارته ، ارتفع أزيز خافت من جهاز على سطح مكتبه ، قبل أن تخرج منه ورقة صغيرة ، التقطها فى سرعة ، وانعقد حاجباه فى شدة وهو يقرؤها ، ثم عادا يرتفعان ، مع هتافه شديد التوتر :

ـ يا إلهى !

سأله (حسن) فى انفعال :

ـ مـاذا حدث ؟!

رفع المدير عينيه إليه ، مجيبًا :

ـ (ن ـ 1) وحفيدك .

هتف (حسن) :

ـ مـاذا أصابهما ؟!

ولم ينبس المدير ببنت شفة ، ولكن عينيه أفصحتا عن أمور خطيرة ..

خطيرة إلى حد مخيف ..

جدًا .

★ ★ ★

5ـ الشياطين ..

أغمضت دونا (كارولينا) عينيها فى ارتياع عجيب، تسأل رجلها (ماريو) فى هدوء أدهشه، عبر هاتفه المحمول :

ـ إذن فقد أفلت منكم .. أليس كذلك ؟!

تصوَّر (ماريو) أن هدوءها هـذا نوع مـن السخرية منـه، فقال فى حدة :

ـ لم يكن هذا بسبب تقصيرنا أو عجزنا .

سألته، وهى تبتسم، وتسترخى على فراشها فى ارتياح :

ـ بسبب ماذا إذن ؟!

أجابها فى مزيد من الحدة :

ـ لقد تدخَّلت قوات المارينز .

اعتدلت بحركة حادة، هاتفة :

ـ لصالحه ؟!

أجابها، وقد أدهشته حدتها المفاجئة :

ـ بل لمطاردته .

شحب وجهها، واختنقت بالصدمة، حتـى أن صوتها خرج، على الرغم منها متحشرجًا، وهى تردِّد :

ـ لمطاردته ؟!

غمغم مرتبكًا :

ـ كان من المستحيل أن نواصل مطاردته بعد تدخُّلهم، و ...

قاطعته بعبارة عصبية :

ـ المارينز يطاردونه .. يا إلهى !

لم يفهم (ماريو) ما إذا كانت عبارتها تحمل انفعالاً أم ابتهاجًا، فقال فى حذر :

ـ أوامركِ يا دونا .

أجابت فى خشونة صارمة آمرة :

ـ الأوامر لم تتغيَّر .. ما زالت أريد (أدهم صبرى) .

قال فى دهشة :

ـ ولكن المارينز سيظفرون به حتمًا .

قالت فى حدة :

ـ ليس حتمًا .

أدهشته كلمتها بشدة ، فلم يملك إلا أن يقول :

ـ ولكن ..

لم يستطع إضافة كلمة أخرى لقوله ، فلاذ بالصمت الحائر ، وهى تقول فى حدة آمرة :

ـ ألم تفهم ما قلته بعد ؟!

قال فى توتر :

ـ بلى يا دونا ، ولكن المارينز ..

قاطعته مرة أخرى :

ـ المارينز سيبذلون أقصى طاقتهم للظفر به ، فإذا فشلوا ..

هتف بمنتهى الدهشة :

ـ فشلوا ؟!

صرخت فيه :

ـ هل ستواصل مقاطعتى هكذا ؟!

لم يكن قد قاطعها مرة واحدة ، منذ بدء حديثهما ، إلا أنه لاذ بالصمت دون اعتراض ، فى حين واصلت هى فى حدة ، لم يعتدها منها كثيرًا :

ـ إذا فشلوا فسيحين دوركم ؛ لذا فمن الضرورى أن تكونوا دومًا قريبين للغاية .

أراد أن يسألها كيف يمكن هذا ، إلا أنه آثر الصمت والاكتفاء بالاستماع ؛ خشية أن يثير المزيد من غضبها ، ولكنها صرخت فيه ، على الرغم من هذا :

ـ هل تسمعنى ؟!

أسرع يقول مرتبكًا :

ـ بالتأكيد يا دونا .. بالتأكيد .

أنهت المحادثة بحركة حادة ، وعادت تلقى جسدها على فراشها ، وهى تقول فى توتر زائد :

ـ إذن فقد جذبت إليك قوات المارينز هذه المرة يا (أدهم) ..

« وهذا يتعارض مع خطتك طبعًا .. »

انطلقت العبارة بصوت أنثوى هادئ ، على بعد متر واحد منها ، فوثبت من فراشها ، فى مزيج من الدهشة والذعر ، واندفعت يدها تبحث عن مسدسها ، وهى تحدّق فى دهشة هلعة ، فى تلك الفتاة الضئيلة ، التى وقفت داخل حجرتها فى هدوء شديد ، فواصلت الفتاة ، دون أن يبدو عليها أدنى قلق ، من ذلك المسدس الذهبى ، الذى التقطته دونا بالفعل :

ـ هل تحتاج دونا (كارولينا) الشهيرة لسلاح ، وهى تلتقى بصديقة ؟!

صوّبت إليها دونا مسدسها ، وهى تقول فى حدة :

ـ من أنت ، وكيف وصلت إلى هنا ؟!

أجابتها بنفس الهدوء :

ـ اسمى (تيا) ، ولدىّ طائرة ستقلع إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد ساعتين فحسب ، لذا أردت اختصار تلك الإجراءات المهووسة ، التى يمر بها كل من يرغب فى الالتقاء بك شخصيًا .

صرخت فيها دونا ، وهى تقترب من زر استدعاء طاقم الأمن :

ـ هذا ليس جوابًا .. إجراءات الأمن هنا معقّدة للغاية ، ولا أحد يمكنه أن ..

أكملت الفتاة ، بلهجة تحمل سخرية مستفزة :

ـ يصل إليكِ ؟!.. هذا ما تتصوّرينه يا دونا .

شعرت دونا بمهانة من السؤال ، فعادت تصرخ فيها :

ـ من أنت ؟!

تجاهلت (تيا) الحسناء السؤال تمامًا ، وهى تقول ، مشيرة إليها :

ـ لا تحاولى استدعاء الأمن ، فالمفترض أن هذا اللقاء خاص جدًا ، لا ينبغى أن يطّلع عليه الآخرون ، واخفضى مسدسكِ السخيف هذا ؛ فهو يفسد روح الود ، التى ينبغى أن تسود .

انعقد حاجبا دونا فى صرامة غاضبة ، وهى تهتف بها :

ـ أنا من يصدر الأوامر هنا .

فجأة ، تحرّكت (تيا) بسرعة خرافية ، فدارت حول نفسها دورة كاملة ، ثم ركلت المسدس من يد دونا ، دون أن تمس

يد هــذه الأخيــرة ، ثـم وثبت وثبـة رشيقة ، التقطته خلالها فى الهــواء ، ودارت حـول نفسـها دورة أخـرى ، لتضـرب زر استدعاء الأمن بكعب المسدس وتحطمه ، قبل أن تعتدل ، وتلقى المسدس فى إهمال ، فوق فراش دونـا ، وتقول بنفس الهدوء والتماسـك :

ـ والآن ، هل يمكننا أن نتحدَّث بصورة أفضل .

امتقع وجه دونا لحظة ، قبل أن يحتقن فى غضب ، وهى تقول فى عصبية :

ـ لو تصوَّرت أن قتلى سيفيدك ، فـ ...

قاطعتها (تيا) فى سخرية شديدة :

ـ قتلك ؟!

ثم أطلقت ضحكة عابثة ، وجلست على طرف فراش دونـا ، قائلة :

ـ لو أننى أردت قتلك لما شعرت حتى بما أصابك ، ولوجدت نفسك فجأة تجلسين وسط كل من تسبَّبت فى مصرعهم ، وأنت تفرشين طريق زعامتك بالدماء .

حدَّقت فيها دونا لحظات فى استنكار ، وكأنها لا تصدّق أن أحدًا يمكن أن يتحدَّث معها بهذا الأسلوب ، ثم تنحنحت معتدلة ، وهى تحاول استعادة صرامتها التقليدية ، قائلة :

ـ ماذا أردت منى إذن ؟!

أجابتها فى سرعة :

ـ كما أخبرتك .. أن نتحدَّث .

سألتها دونا ، وهى تجلس على طرف الفراش بدورها فى حذر :

ـ بشأن مـاذا ؟!

مالت (تيا) نحوها ، مجيبة :

ـ (أدهم) .

وتألَّقت عينا دونا ..

وابتسمت (تيا) ..

وراحتا تتحدثان .

طويلاً ..

* * *

بحركة انتحاريـة بالغـة الجـرأة ، ويسـتحيل توقُّعهـا ، هبـط (أدهم) بالهليوكوبتر في سرعة مدهشـة ، وبراعـة مستحيلة ، وسط طائرات المارينززز السبع ، ثم تجاوزها إلـى أسفل ، وعاد يرتفع بسرعة إلى أعلى ..

وبفضل أجهزة التوجيه الآلية ، تبعه الصاروخـان ، ولكنهما وجدا طائرات الهليوكوبتر السبع فى طريقهما ..

ودوى انفجار عنيف ..

ثم ثـان ..

وتناثرت شظايا طائرتى هليوكوبتر ، تحملان شعار قوات المـارينز ، وتنـاثرت معهـا أشـلاء الرجـال داخلهمـا ؛ ممـا أثـار غضب قـائد المجموعة ، فقال لرجاله ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ لا ينبغى أن نسمح له بالإفلات ، بعدما فعله .

كانت مبادرة (أدهم) الجريئة قد عكست الموقف ، وجعلته هو خلفهم الآن ، مما يستحيل معه أن يطلقوا عليه صواريخهم مرة أخرى ..

ولكن رجال المارينز شياطين بحق ..

لا يملكون القوة الجسدية فحسب ، وإنمـا دعموهـا بمهـارات شتى ، فى مختلف الصنوف ، وجرأة مدهشة ، لا يلتحق بالمارينز

إلا من يتمتع بها ؛ لذا فقد تحركوا فى سرعة ، ليفقدوا (أدهم) هذه المزية ، فتفرَّقوا جميعًا بمبادرة سريعة ، فى خمس اتجاهـات مختلفة ..

وبكل توتر الدنيا ، غمغم (هشام) :

ـ إنهم بارعون بحق .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ تماسك .

ثم انخفض بالهليوكوبتر مرة أخرى ، واندفع فى اتجاه مخالف لطـائرات الهليوكوبتر الخمـس ، فسـأله (هشـام) فـى توتـر ، لـم يستطع التحكُّم فيه أبدًا :

ـ إلى أين ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو يواصل الانخفاض بـالهليوكوبتر ، متخـذًا الاتجاه نفسه :

ـ أهم ما توجه به خصمك ، رد فعل سريع لكل خطوة يتخذها ، تمامًا كالملاكم فى حلبة الملاكمة ، يشاهد قبضة خصمه تتحرَّك ، فيتخذ رد الفعل المناسب قبل أن تبلغه .

قال (هشام) ، وهو يلتفت خلفه ، فى قلق بالغ :

ـ يمكنهم أن يطلقوا نحونا صواريخهم .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ هذا ما سيفعلونه حتمًا .

اتسعت عينا (هشام) فى ارتياع ، هاتفًا :

ـ مـاذا ؟!

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها هتافه ، كان قائد مجموعـة المـارينز يقـول لرجالـه ، وهم يعودون للتجمُّـع مـن اتجاهـاتهم الخمس ، بعد ابتعاد (أدهم) :

ـ لقد ارتكب الخطأ الذى ننتظره .

كان (أدهم) قـد انخفض بشـدة ، حتـى كـاد يلامس الأرض ، فأجابه أحد رجال المارينز :

ـ إنه يهبط يا سيِّدى .

انعقد حاجبا قائد المارينز ، وهو يقول :

ـ لن نمنحه الفرصة لهذا .

ثم ارتفع صوته ، وكأنه يصدر أمرًا فى الخلاء ، هاتفًا :

ـ أطلقوا صواريخكم .

وفـى آن واحـد ، انطلقـت مــن طـائرات الهليوكوبـتر خمسـة صواريخ موجَّهة ..

وكلها نحو هدف واحد ..

هليوكوبتر (أدهم) ..

وأمام عيون قوات المارينز المترقِّبة ، اتجهت الصواريخ كلها نحو الهليوكوبتر ، التى كادت تلامس الأرض بالفعل ..

ودوى الانفجار ..

انفجار خمسة صواريخ قوية فى هليوكوبتر واحدة ..

وتناثرت للشظايا الهليوكوبتر على مساحة واسعة ..

واسعة للغاية ..

* * *

بدا الرئيس الأمريكى صارمًا ، ربما أكثر مما ينبغى ، وهو يستقبل (موريس مولر) فى مكتبه البيضاوى فى البيت الأبيض ، فى حضور وزيرة الخارجية الحالية ، والتى كانت تحتل منصب مستشار الأمن القومى فى السابق ، قائلاً :

ـ مستر (مولر) .. المفترض ألا ألتقى بك ، دون معرفة مدير المخابرات .

أجابه (مولر) فى حزم :

ـ سأبلغه شخصيًا ، لو أمرتنى بهذا يا سيادة الرئيس .

تبادل الرئيس نظرة صامتة مع الوزيرة ، التى قالت فى صرامة :

ـ هات ما لديك يا (مولر) .

تنحنح (مولر) لحظة ، محاولاً تجميع أفكاره ، فأضافت فى حدة :

ـ وبسرعة .

كان يعرف سرعة انفعالها وخشونة طبعها ؛ لذا فقد تجاوز هذا على الفور ، وهو يقول :

ـ نحن نشن حربًا يا سيدى .

تفجَّرت دهشة مستنكرة على وجه الرئيس ووزيرته ، وهتف الأوَّل ، فى مزيج من الغضب والقلق :

ـ أية حرب ؟!.. فى فترة حكمى لا تُشَنُّ الحروب إلا بأوامرى .

رمقته الوزيرة بنظرة مستنكرة ، ثم سألت (مولر) فى صرامة :

ـ أين وكيف ؟!..

التفت (مولر) إليها ، وكأنما أدرك من صاحب الكلمة فى الموقف ، وأجابها فى احترام شديد :

ـ إنها حرب داخلية يا سيدتى الوزيرة .

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

ـ داخلية ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، واختلس نظرة إلى الرئيس ، الذى ظل صامتًا متوترًا ، وقال فى بطء :

ـ حرب للظفر برجل واحد .

ازداد انعقاد حاجبى وزيرة الخارجية ، فى حين انتفض الرئيس على مقعده ، وقال فى حدة عصبية :

ـ لا تقل لى إنه ذلك المصرى .

أومأ (مولر) برأسه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ هو نفسه يا سيادة الرئيس .

ضرب الرئيس الأمريكى سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً فى غضب :

ـ ألا ينتهى هذا الرجل أبدًا ؟!

وعلى نحو مخالف لكل القواعد ، تجاهلت وزيرة الخارجية عبارة الرئيس تمامًا ، وهى تسأل (مولر) فى توتر :

ـ ألهذا علاقة بما يحدث فى (تشارلوزفيل) الآن ؟!

أومأ (مولر) برأسه مرة أخرى ، وقال :

ـ الأمر تجاوز (تشارلوزفيل) إلى طريق (واشنطن) .

سألته فى قلق :

ـ لماذا ؟!.. ماذا حدث ؟!

أجابها ، وهو ينقل بصره بينها وبين الرئيس ، محاولاً دراسة رد فعلهما لما سينطلق به :

ـ لقد تدخلت قوات المارينز .

انتفض الرئيس فى غضب ، وهو يهتف :

ـ دون أوامرى .

وقالت الوزيرة فى صرامة :

ـ هذه جريمة .

قال (مولر) فى سرعة :

ـ ولكنهم أسقطوا طائرة ذلك المصرى .

غمغم الرئيس فى انفعال :

ـ أسقطوها ؟!

تألقت عينا (مولر) ، وهو يقول :

ـ نسفوها نسفًا .

ترددت الوزيرة السمراء ، قبل أن تسأله فى حذر :

ـ وهل تيقنوا من القضاء عليه ؟!

أشار بيده ، مجيبًا :

ـ هذا ما يفعلونه منذ نصف الساعة .

قال الرئيس فى عصبية مفاجئة :

ـ ولكنك لم تأت إلى هنا ، فقط لتخبرنا بمصرع ذلك المصرى .

أجابه (مولر) بسرعة :

ـ بالطبع يا سيادة الرئيس .. لقد جئت لسبب أكثر خطورة .

سألته الوزيرة فى اهتمام :

ـ وما هو ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، وشدّ قامته ، وهو يقول :

ـ ما يكمن وراء تلك الحرب ؟!

سألته فى قلق شديد :

ـ وما هو .

تألقت عيناه مرة أخرى ، وهو يجيب :

ـ الإسرائيليون .

وكانت الكلمة تكفى ليتوتر الموقف ..

وبشدة ..

* * *

على الرغم من صلابتهم وقوة شكيمتهم ، بدا رجال المارينز شديدى التوتر ، وهم ينبشون كل شبر من حطام الهليوكوبتر ، بحثًا عن أية أشلاء بشرية ..

وتمامًا مثلما حدث هناك ، فى ذلك المنزل الآمن ، كانت هناك آلاف الشظايا وقطع الحطام ..

ولكن دون قطرة دم واحدة ..

ولأن الحطام قد انتشر على مساحة واسعة للغاية ، كان من الطبيعى أن يستغرق منهم الأمر فترة طويلة ، بلغت ساعة كاملة ، قبل أن يؤدى أكبرهم رتبة التحية العسكرية أمام قائد المجموعة ، وهو يقول فى عصبية حاول كتمانها ، احترامًا لتقاليد المارينز :

ـ لا توجد أية بقايا بشرية بين الحطام يا سيّدى .

انعقد حاجبا القائد فى غضب ، وهو يقول :

ـ مستحيل !.. لقد نسفنا الهليوكوبتر بخمسة صواريخ .

قال الرجل فى تردُّد :

ـ ولكنها ظلت تطير لدقيقة ونصف ، على ارتفاع منخفض ، فوق حقول كثيفة ، و ...

قاطعه القائد فى غضب أكثر :

ـ فهمت .

ثم التقط جهاز الاتصال ، وقال عبره فى صرامة أورثها الغضب :

ـ الهدف نجا من الهجوم الأول ، وتحرك مبتعدًا منذ ساعة .. أريد محاصرة كاملة لدائرة واسعة ، نصف قطرها هو المسافة التى يمكن أن تقطعها سيارة مسرعة ، فى ساعتين كاملتين .. إنها عملية مكافحة إرهاب .. إطلاق النار حتمى ، عند أية بادرة للشك .. أكرر .

فى نفس اللحظة التى ألقى فيها هذا الأمر ، والتى بدأت منها قوات الحصار تتحرك بالفعل ، وبأعداد تكفى لشن حرب حقيقية ، كان (هشام) يشعر بإرهاق وتوتر شديدين بلا حدود ، وهو يقول :

ـ لم أعد أستطيع الاستمرار .

كان يسير مع (أدهم) منذ ساعة كاملة ، وسط حقول واسعة ، فى محاولة لتفادى الطرق الرسمية ، مع كل الانفعال الذى يحمله فى أعماقه ، منذ التقى به ..

لقد كان يتصور أن عمل المخابرات ، مثلما أخبره جده ، هو عمل عقلى وذهنى بالدرجة الأولى ، ويعتمد على الذكاء والبراعة والحنكة والقدرة على الابتكار ، بأكثر مما يعتمد على القدرات البدنية والعضلية ..

ويا له من قول ، بالنسبة لشخص فى موقفه !!..

ففى أقل من ساعتين ، واجه مع مدربه جيشًا من القتلة ، أمطرهم بسيل من الرصاصات ، وكان جزءًا من مطاردة سيارات عنيفة انتهت على نحو مخيف ، ثم لحقتها مطاردة بطائرات الهليوكوبتر ، مع قوات المارينز ، انتهت بأن قفز (أدهم) من الهليوكوبتر ، على ارتفاع خمسة أمتار عن الأرض ، وسط حقول كثيفة ، وشاهد الهليوكوبتر نفسها تصاب بخمسة صواريخ أمام عينيه ، وشعر بوهج نيرانها ، وهو منبطح أرضًا ، وكل ذرة فى كيانه ترتجف ، وشظاياها تتطاير فوق رأسه ، لم يحمه منها سوى النبات الكثيف من حوله ..

وها هو يسير وسط تلك التباب وتلك الحقول ، حتى لم تعد قدماه تحتملان ..

ولكن أكثر ما أدهشه هو أن (أدهم) لم يعترض بحرف واحد ، عندما أخبره أنه لم يعد باستطاعته الاستمرار ، وإنما على عكس الصرامة التى توقّعها منه ، بدا حنونًا متعاطفًا ، وهو يربّت عليه ، قائلاً :

ـ حسنًا .. فلنجلس قليلاً :

تهالك (هشام) وسط الحقل ، وشعر بمتعة شديدة ، وهو يرقد بين النباتات الطويلة ، فى حين جلس (أدهم) إلى جواره فى هدوء ، وبدا وكأنه غارق فى تفكير عميق ، دون أن يبدو عليه أثر للتعب أو الانفعال ، على الرغم ما مرّ بهما ، فتطلّع إليه (هشام) بعينين متهالكتين ، قبل أن يشيح بوجهه ، قائلاً فى مرارة :

ـ أعرف فيم تفكّر .

سأله (أدهم) فى هدوء :

ـ فيم ؟!

حمل صوته كل أسف ومرارة الدنيا ، وهو يقول :

ـ ففى أننى لا أصلح للعمل فى المخابرات .

ابتسم (أدهم) فى حنان ، ولكنه أسرع يخفى ابتسامته ، وهو يلتفت إليه ، قائلاً بنفس الهدوء :

ـ من قال هذا ؟!

أجابه (هشام) ، وهو يبذل قصارى جهده ليتماسك :

ـ الأحداث .. خوفى وارتجافى مع كل خطوة قمنا بها .. لقد أهّلت نفسى للعمل فى مجالات عقلية ، وصراعات فكرية وعملية ، ولكننى اكتشفت اليوم أننى أهملت الجانب الجسدى تمامًا .. لست أقصد بناء الجسد ؛ فأنا رياضى جيد ، ولكننى أقصد القدرة على التعامل به ، فما رأيتك تفعله ، جعلنى أدرك أن كل ما مارسته من رياضة طيلة عمرى ، لا يساوى شيئًا فى الواقع .

شعر (أدهم) بالكثير من الحنان والإشفاق على الشاب ، ولولا أنه ما زال يعتبر أن مهمته الرسمية هى تدريبه ، لربّت عليه بكل مشاعره ، إلا أنه تماسك وهو يقول فى حزم :

ـ اسمع يا (هشام) .. مفهومك للشجاعة والقوة يحتاج إلى تعديل هام ، فالشجاعة ليست فى عدم الشعور بالخوف ، فهذا

نوع من البلادة الذهنية والانفعالية ، وإنما الشجاعة تكمن في مقاومة الخوف ، والقدرة على مواجهته والتصدّى له .

اعتدل (هشام) ، يسأله في دهشة :

ـ أتعنى أنك يمكن أن تشعر بالخوف ؟!

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وقال :

ـ أشعر به طوال الوقت .

هتف (هشام) في دهشة أكبر :

ـ أنت ؟!

أومأ (أدهم) برأسه ، قائلاً :

ـ لولا الخوف لما قاتل المرء للنجاة .. خوفه على نفسه ، أو على من يحب ، أو على وطنه أو دينه ، هو المحرّك الأساسى لكل طاقاته وقدراته .. هو الذى يدفع الأدرينالين في عروقه ، فيقاتل كالليث ، ويدافع في بسالة .

كرَّر (هشام) مبهورًا ، ودهشته تتعاظم :

ـ أنت تعرف الخوف ؟!.. بعد كل ما رأيتك تفعله ؟!..

هزَّ (أدهم) كتفه ، قائلاً :

ـ يمكنك أن تقول إننى من كثرة مواجهتى له ، عقدت معه نوعًا من الصداقة ، جعلته يألفنى وآلفه ، ويعتاد كل منا الآخر .. صداقة مع الخوف .

حدَّق فيه (هشام) غير مصدِّق لثوان طويلة ، قبل أن يهز رأسه في قوة ، ويقول في انفعال :

ـ ولكننى لم أستطع مواجهته .

ابتسم (أدهم) بنفس الهدوء ، قائلاً :

ـ وما دورى إذن ؟!

صمت (هشام) متطلّعًا إليه بعينين متسائلتين حائرتين ، فتابع :

ـ إننى هنا لتدريبك على العمل الميدانى .. على اعتياد الخوف .. اعتياد مواجهته ، ومصادمته .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضع يده على كتف (هشام) ، مضيفًا :

ـ والانتصار عليه .

سرت فى جسد (هشام) قشعريرة باردة كالثلج، من فرط الإعجاب والانبهار، وهو يحدق فى (أدهم) ..

منذ سنوات طفولته، وهو يستمع إلى روايات جده عن (أدهم) ..

عن جرأته ..

ومهارته ..

وشجاعته ..

وإقدامه ..

ونبل سماته ..

وكان دومًا يتصوَّر أنه من المستحيل أن يتواجد شخص بكل هذه السمات ..

وحتى فى شبابه، كان يتعامل مع تلك الروايات باعتبارها أسطورة ..

وككل الأساطير، هناك دائمًا مساحة كبيرة للخيال ..

مساحة تتعاظم مع كل رواية ..

وكل عام يمر ..

وعندما التقى بـ (أدهم) شخصيًا، لم يصدِّق نفسه فى البداية ..

لم يصدِّق أنه قد التقى بالبطل ..

بالحلم ..

بالأسطورة ..

ولكن الساعتين، اللتين قضاهما بصحبته، حوَّلتا عدم التصديق إلى انبهار كامل ..

انبهار بلا حدود ..

الرجل أعظم بكثير مما تصوَّره ..

أعظم مما رواه جده ..

ومن كل ما قيل عنه ..

إنه أشبه ببطل أسطورى ..

بطل يصلح نموذجًا للعصر ومقياسًا للرجولة ..

بطل يحلم كل شاب بأن يصبح مثله يومًا ..

أو حتى نصف ما هو عليه ..

وبكل إحساسه ، وانبهاره ، غمغم (هشام) فى خفوت :

ـ وماذا عن القدرات الجسدية ؟!

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ أنت قلتها .. لست تفتقر إلى القدرات الجسدية ، ولكن إلى القدرة على استخدامها ، وهى معادلة طبيعية فى الحياة ، ليست فى البشر وحدهم ، بل حتى فى الدول والحروب الكبيرة ، فالدولة التى تمتلك ترسانة عسكرية ضخمة ، ليس بالضرورة أن تنتصر فى حروبها ، إلا إذا عرفت كيف تجيد استخدام تلك الترسانة ، فدولة أقل منها تسليحًا ، وأكثر تنظيمًا وتخطيطًا ، يمكن أن تهزمها بسهولة ، وكذلك البشر .. شخص نحيل يمكن أن يهزم عملاقًا مفتول العضلات ، لو عرف كيف يتحرك ، وأين يوجّه ضرباته .

وعاد يبتسم ، قائلاً :

ـ وهذا دورى أيضًا .

تضاعف انبهار (هشام) ؛ فاعتدل جالسًا ، وهو يقول فى حماس :

ـ وأنا رهن إشارتك .

واصل (أدهم) ابتسامته ، دون انفعال ، فسأله (هشام) فى اهتمام :

ـ سؤال أخير .. لماذا لم تعترض بحرف واحد ، عندما طلبت منك التوقُّف ، لأننى لم أعد أستطيع الاستمرار .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ إنها قاعدة عامة يا صديقى .

تساءل (هشام) فى حيرة :

ـ قاعدة عامة ؟!

أومأ (أدهم) برأسه ، قائلاً :

ـ بالطبع .. القافلة تسير بقدر احتمال أضعفها ، و ...

بتر عبارته فجأة ، واعتدل بحركة حادة سريعة ، جعلت (هشام) يستعيد توتره ، وهو يقول :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار إليه (أدهم) بالصمت ، وهو يرهف سمعه جيدًا ، مما دفع (هشام) إلى أن يرهف سمعه بدوره ..

وانتفض جسده فى قوة ..

لقد كـانت هنـاك أصـوات واضحـة لأجسـام تتحـرك وسـط الحقول ..

ومن كل الاتجاهات ..

ولو ارتفعنا بالمشهد ، فستراه أكثر إثارة للتوتر والخوف ..

ففى دائرة كبيرة ، كـانت قـوات المـارينز تتحـرك لمحـاصرة الحقول ، فى حلقة تضيق ..

وتضيق ..

وتضيق ..

★ ★ ★

6ـ حلقـة المـوت ..

رسم رجـل (الموسـاد) (راعول) ابتسامة دبلوماسية متزلفـة علي شفتيه ، وهو يدلف إلى المكتب البيضاوى فـى البيت الأبيض ، قائلا للرئيس الأمريكى :

ـ مرحبًا يا فخامة الرئيس .. بقدر ما أدهشنى استدعاؤك العاجل لى ، فى هذه الساعة ، بقدر ما تسعدنى رؤياكم الكريمة ، و ...

قاطعته وزيرة الداخلية السمراء فى صرامة :

ـ لن يفيد هذا يا رجل .

رفع (راعول) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ لن يفيد فى ماذا يا سيادة الوزيرة ؟!

أجابه الرئيس هذه المرة :

ـ فى ما استدعيناك من أجله .

حافظ (راعول) على ابتسامته المتزلفة ، وهو يقول :

ـ ولكننى أجهل سبب استدعائكم لى يا فخامة الرئيس .

قالت الوزيرة فى حدة :

ـ حقـًا ؟!

نقل (راعول) بصره بينهما لحظات ، ثم اعتدل فى وقفته ، قائلاً :

ـ يبدو أنه هناك شىء لا أفهمه .

سأله الرئيس فى صرامة :

ـ أية لعبة تدفعوننا إليها يا رجل ؟!

رفع (راعول) حاجبيه مرة أخرى ، وقال :

ـ لعبة ؟!.. لقد أصبحت عاجزًا عن الفهم تمامًا .

قال الرئيس ـ فى غضب واضح :

ـ لماذا دفعتم مخابراتنا لخوض تلك الحرب التحالفية المشتركة ، ضد مصرى واحد ؟!

ثم ارتفع صوته ، وهو يضيف فى حدة :

ـ ودون أوامرى .

صمت (راعول) لحظـة ، وهـو يديـر بصـره بيـن الرئيـس ووزيرته ، قبل أن يشد قامته ، قائلاً فى حزم :

ـ هل يمكننى التحدُّث إليك وحدك يا فخامة الرئيس ؟!

كان يتوقَّع جوابًا من الرئيس ، ولكن الوزيرة اندفعت قائلة فـى صرامة :

ـ كَلا .

صمت (راعول) لحظة ، ثم قال فى إصرار :

ـ هل يمكن يا فخامة الرئيس ؟!

قالت الوزيرة فى غضب :

ـ قلت كلا .

التفت إليها ، قائلاً فى صرامة :

ـ فخامة الرئيس لم يقلها .

صرخت فيه :

ـ أنـا قلتها .

تردَّد (راعول) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ بدءًا يا سيِّدتى الوزيرة ، المفترض أن يبلغكم جهاز مخابراتكم بعرضنا للتعاون ، لا أن نخبركم نحن ، وثانية مازلت أصر على أن ألتقى بفخامة الرئيس وحدنا .

عقدت حاجبيها ، وكفيها ، قائلة فى حدة :

ـ سمعت جوابى .

صمت (راعول) لحظات أخرى، ثم التقط من جيبه ورقة، اتجه بها نحو الرئيس، ووضعها أمامه مباشرة، وهو يقول :

- هل تسمح يا فخامة الرئيس ؟!

رمقت الوزيرة الورقة فى توتر، وتحركت بالفعل نحو الرئيس، الذى التقط الورقة فى سرعة، وقرأ محتوياتها فى سرعة، قبل أن يمتقع وجهه، وتزوغ عيناه لحظة، أثارت ظنًا من الدهشة والفضول لدى الوزيرة، التى تساءلت فى عصبية :

- ماذا تحوى هذه الورقة ؟!

جذب الرئيس الورقة بعيدًا، وأسرع يدسُّها فى جيبه، وهو يقول فى حدة، لم تعتدها الوزيرة منه :

- اتركينا وحدنا .

اتسعت عيناها، وارتفع حاجباها فى دهشة مذعورة، وهى تهتف :

- ماذا ؟!

كررً فى عصبية حادة :

- قلت : اتركينا وحدنا .

نقلت بصرها بينه وبين (راعول) فى حدة، فابتسم هذا الأخير فى شىء من الشماتة، قائلاً :

- وبسرعة يا سيِّدتى الوزيرة .

تفجَّر غضب هائل فى ملامحها، فأضاف فى خبث :

- لو سمحت .

عادت تنقل بصرها بينهما، فأشاح الرئيس بوجهه، وكأنما يتحاشى النظر إليها، مما جعلها تندفع خارجه، وهى تقول فى حدة :

- لن أبتعد كثيرًا .

لم تكد تغلق الباب خلفها، حتى جلس الرئيس على مقعده فى بطء، وهو يسأل (راعول) فى انكسار :

- كيف علمتم بهذا الأمر ؟!

أجابه (راعول) فى لهجة صارمة، لا تتفق مع وجوده فى حضرة رئيس أقوى دولة فى العالم :

- لسنا نعلمه فحسب يا فخامة الرئيس، ولكننا نملك كذلك كل الوثائق التى تستطيع إثبات هذا .

بدا الرئيس أكثر انكسارًا، وهو يقول :

- لم أتخيَّل قط أن أحدًا يمكنه أن ..

قاطعه (راعول) بنفس اللهجة :

- إلا نحن .

لم يجب الرئيس ، وإنما نظر إليه فى مرارة ، جعلته يتحرّك فى المكتب البيضاوى فى ثقة ، وهو يواصل :

ـ نحن دومًا نعرف كل شىء ، ونسعى لمعرفة كل شىء .. ولا أحد يمكنه الوقوف فى طريقنا ، وسياستنا تعتمد على إزاحة أية عقبة عن طريقنا ..

وتوقّف دفعة واحدة ، والتفت إلى الرئيس ، وقال فى صرامـة ، وبلهجة ذات مغزى :

ـ أيًا كانت .

قالها وابتسم فى ظفر وثقة ، عندما انكمـش الرئيس فى مقعده ، فعاود (راعول) تحرّكه فى المكان ، مواصلاً :

ـ فمنذ اغتيالنا لـ (جون كينيدى)(*)، وحتى فضيحة (بل كلينتون)(**)، لم يتخذ رئيس أمريكى واحد خطوة ، نرى أنها تسـىء إلى أمننا وبقائنا ، إلا أزحناه من الطريق .

(★) (جون فيتزجيرالد كينيدى) : (1917 - 1963 م) : الرئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية ، كان واحدًا من دعاة السلام العالمى ، على الرغم من تعامله الناجح مع مشكلة الصواريخ الروسية فى (كوبا) ، والذى كاد يؤدّى إلى حرب عالمية ثالثة ، ولقد تم اغتياله فى (دالاس) ، على نحو يحسم التاريخ مسئوليته بعد .

(★★) (ويليام جيفرسون كلينتون) : (1946 ـ) : الرئيس الثانى والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية ، حاول أن يحدث التوازن الذى يحلم به الكل ، بين العرب والإسرائيليين ، قبل أن تضيع مصداقيته بسبب فضيحته مع متدرّبة شابة فى البيت الأبيض ، تدعى (مونيكا لوينسكى) .

وتوقّف مرة أخرى ، ليقول فى صرامة قاسية :

ـ وبلا رحمـة .

امتقع وجه الرئيس الأمريكى فى شدة ، وهو يقول فى صوت خافت ضعيف منكسر :

ـ مـاذا تريدون بالضبط ؟!

اعتدل (راعول) ، وتألّقت عيناه ، وهو يقول فى ظفر ، لم يحاول إخفاءه :

ـ الآن يمكننا أن نتحدّث .... يا فخامة الرئيس .

وانكمش الرئيس فى مقعده أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

على الرغم من الظـلام ، الذى هبط على المنطقـة كلها ، راح رجال المارينز يتحركون فى ثقـة وسرعـة ، لاحكام الحلقة حـول (أدهم) و(هشام) ، وهـم يضعون على أعينهـم أجهزة خاصـة للرؤية الليلية ، جعلت ظلام الليل يتحوّل ، بالنسبة لهم ، إلى نهار أخضر باهت ، فى نفس الوقت الذى حملت فيه شاشـة جهـازهم

اللاقطة للحرارة صورة جسمين قابعين فى مركز الحلقة ، التى تضيق فى سرعة ، وقال قائدهم فى ظفر ، وهو يشير إلى الشكلين الحراريين على شاشة الجهاز :

- إنهما هما .

غمغم أحد رجاله فى قلق :

- دعنا لانتسرَّع أيها القائد ، ربما كانا مجردَّ عاشقين ، يستتران بالنباتات الطويلة :

قال القائد فى صرامة :

- هل تبدو لك هذه حرارة عاشقين ؟!

ألقى الرجل نظرة أخرى على الشاشة ، ثم قال :

- لو أننا أخطأنا ، فلن يرحمنا أحد ، و ...

قاطعه القائد فى حدة :

- اصمت .

أطبق الرجل شفتيه ، وواصل تحركه مع الباقين ، فى تلك الحلقة ، التى تواصل الانكماش على نحو سريع ..

ومميت ..

« كيف يعرفون أننا هنا ؟!.. »

نطقها (هشام) فى قلق ، وهو يحاول مقاومة خوفه ، كما نصحه أستاذه ومدرِّبه ، الذى قال فى تفكير :

- يستعينون بجهاز ما .

خفض (هشام) صوته فى حركة غريزية ، قائلاً :

- جهاز يرصد أصواتنا ؟!

قال (أدهم) فى حزم :

- بل حرارة أجسادنا .

اتسعت عينا (هشام) ، وهو يقول :

- وكيف يمكننا مقاومة أمر كهذا ؟!

أجابه (أدهم) فى سرعة وحزم :

- هناك دومًا وسيلة .

ثم التفت إليه ، مضيفًا :

- هكذا ينبغى أن تفكِّر دومًا .

ردَّد (هشام) فى قلق حائر :

- وسيلة ؟!

قبل حتى أن يبحث عن تلك الوسيلة ، التقط (أدهم) قطعة خشب جافة ، وغصن رفيع ، من النباتات المحيطة بهما ، وراح يفرك الغصن بكفيه فى سرعة ، وهو يلصق طرفه بقطعة الخشب الجافة ..

للوهلة الأولى ، لم يفهم (هشام) ما يمكن أن يحدثه هذا ، حتى بدأ الدخان يرتفع من قطعة الخشب الجافة ، التى ينفخ فيها (أدهم) بفمه نفخات هادئة طوال الوقت ، فقال فى انفعال :

ـ تحاول إشعال نار .. أليس كذلك ؟!

ولم يجب (أدهم) ..

ولكن قطعة الخشب الجافة أجابت ..

لقد اشتعلت فيها النيران فجأة ، فرفعها (أدهم) فى سرعة ، لتشعل أوراق النبات الجافة من حولهما ، فاتسعت عينا (هشام) ، وتراجع عن النيران بحركة غريزية ، فى نفس اللحظة التى صرخ فيها قائد المارينز فى غضب :

ـ يا للثعلب .. أطلقوا النار ، قبل أن نفقد أثرهما .

كان اشتعال النار فى الأوراق الجافة قد صبغ شاشة جهاز الاتصال الحرارى كلها باللون الأحمر ، فضاعت معالم (أدهم) و(هشام) ، لذا فقد تردَّد رجال المارينز فى إطلاق النار ، وهتف أحدهم فى توتر :

ـ سيِّدى .. إننا نصنع حلقة محكمة .

صرخ القائد :

ـ قلت : أطلقوا النار .

هتف الرجل فى توتر أكثر :

ـ لو فعلنا ، دون هدف واضح ، سنصيب بعضنا البعض .

انعقد حاجبا القائد فى شدة ، وانطلقت صرخة غاضبة ساخطة فى أعماقه ..

كيف لم ينتبه إلى هذا ؟!..

لو أطلق رجاله النار عشوائيًا ، وهم يصنعون حلقة متكاملة ، فسيصيب بعضهم بعضًا حتمًا !..

لا بد من وجود هدف واضح ..

هدف يمكن التصويب عليه ..

والكل انتبه إلى هذا ، فيما عداه ..

رجـاله ..

ومساعده ..

وحتى ذلك المصرى ومن معه ..

الكل أدرك استحالة إطلاق النار ، فى غياب رؤية بصرية ..

أو حرارية ..

لهذا أشعل ذلك المصرى الثعلب النار ..

وأفسد الرؤية ..

تمامًا ..

ولكنهم يحكمون الحلقة حوله تمامًا ..

ولن يجد ثغرة واحدة للإفلات ..

لذا ، فالحل الوحيد هو الهجوم ..

الهجوم الشامل ، فى حلقة واحدة ..

فى نفس اللحظة ، كان (هشام) يقول فى انبهار :

ـ لم يطلق أحدهم رصاصة واحدة .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ لا يمكن أن يفعلوا .

قال فى انبهار أكثر :

ـ وكنت تعرف ؟!

أجابه (أدهم) بنفس الحزم :

ـ أى رجل عسكرى يعرف .

ثم نهض مستطردًا :

ـ ويعرف قاعدة أخرى هامة .

سأله (هشام) ، وهو ينهض بدوره :

ـ أية قاعدة .

اندفع (أدهم) عبر المزروعات ، وهو يجيبه بمنتهى الحزم :

ـ الهجوم خير وسيلة للدفاع .

لحظتها بالتحديد صرخ قائد المارينز :

ـ هجـوم .

وكان الأمر موجَّهًا للجميع ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

لم تكد الطائرة الحربية الروسية تهبط ، بين ثلوج سيبيريا ، حتى وثب منها الماجور (بولانسكى) ، فى زى عسكرى ميدانى كامل ، ووثب خلفه دستة من الجنود ، انتشروا على نحو سريع ، وكأنهم يحفظون دورهم جيدًا ، فالتفت إليهم (بولانسكى) ، وقال فى صرامة عسكرية :

- انسوا كل ما حفظتموه من تضاريس (سيبيريا) ، وصور الأقمار الصناعية عنها ، وانتشروا فى مجموعات ثلاثية ، للبحث عن أية منشأة خفية أو مستترة .

غمغم أحدهم فى قلق :

- إنها مساحة شاسعة للغاية يا سيدى(*) .

أجابه فى صرامة أكثر :

- سنفحصها شبرًا شبرًا .

تبادل الجنود نظرة قلقة ، ثم غمغم آخر :

- ومتى سنلتقى ؟!

أشار (بولانسكى) إلى الهليوكوبتر ، قائلاً :

- ستتواجد الهليوكوبتر هنا ، بين الثامنة والتاسعة صباحًا يوميًا ، ولن نعود إلا بنتائج إيجابية .

مرة أخرى ، تبادل الجنود تلك النظرة القلقة ..

القائد يعرف شىء ما حتمًا ..

شىء يدفعه للثقة فى أنهم سيجدون شيئًا ما حتمًا ..

(*) تبلغ المساحة الكلية لـ (سيبيريا) (13) مليون كيلومتر مربع .

وأن هذا سيستغرق أيامًا ..

أو ربما أسابيع ..

وبالنسبة لهم ، بدا هذا أشبه بالتواجد فى معتقل قديم من معتقلات (سيبيريا) القديمة ..

أو سجونها الحديثة ..

أما الماجور (بولانسكى) ، فقد عاد إلى الطائرة ، وهو يقول لقائدها :

- ارتفع .. سنقوم بجولة جويّة تفقُّدية .

قال الطيار فى دهشة :

- ولكن القوات الجوية قامت بها من قبل ، ولم تسفر عن شىء

أجابه (بولانسكى) فى صرامة :

- لم يمتلك أحدهم عينىّ .

هزّ الطيار كتفيه ، وارتفع بالهليوكوبتر الحربية ، وراح ينطلق على ارتفاع منخفض ، فوق الجزء الجليدى غير المأهول من (سيبيريا) ، والذى يبلغ نصف مساحتها تقريبًا ، ولكن (بولانسكى) قال فى حزم :

- يمكننا تضييق نطاق البحث كثيرًا .

سأله الطيار فى فضول :

- كيف ؟!

استعاد (بولانسكى) تفاصيل ما حدث ، عندما هبط برجل (الموساد) فى نفس البقعة ، التى أنزل فيها رجاله الآن ، ثم أتت هليوكوبتر ، وحلقت به نحو الغرب ، ثم قال فى حزم ، وهو يشير بيده :

- سنتجه إلى هناك .

أطاعه الطيَّار ، وانطلق إلى حيث أشار ، وراحت الهليوكوبتر تنطلق ، على نفس الارتفاع المنخفض ، وكأنها تعرف طريقها جيدًا ، فى حين راح (بولانسكى) يرصد كل شبر من الأرض ، مستخدمًا منظارًا خاصًا للرؤية ، وحواسه كلها منتبهة إلى أقصى حد ..

ومضت فترة طويلة ، والهليوكوبتر تنطلق ، دون أن ترصد شيئًا ..

ثم فجأة ، هتف (بولانسكى) :

- غـذ .

سأله الطيار ، وهو يدور بالهليوكوبتر :

- إلى أين ؟!

أجابه فى انفعال غريب :

- تلك الهضبة الجليدية ، التى مررنا بها منذ لحظات .

اتجه الطيار مباشرة نحو تلك الهضبة ، ومال (بولانسكى) ليلقى نظرة فاحصة ، و ...

وفجأة ، انطلق صاروخ من مكان خفى فى تلك الهضبة ، نحو الهليوكوبتر مباشرة ، فصرخ قائدها ، وهو يجذب عصا القيادة ، محاولاً تفاديه :

- إنهم يهاجموننا .

اندفع (بولانسكى) نحو باب الهليوكوبتر ..

ودوى الانفجار ..

انفجار أضاء ذلك الجزء من (سيبيريا) ..

على نحو مخيف ..

* * *

« كيف ؟!.. »

هتفت وزيرة الخارجية بالسؤال فى عصبية ، وهى تواجه الرئيس الأمريكى ، الذى أشاح بوجهه ليتفادى النظر إليها ، وهو يقول فى عصبية أكثر :

ـ أنا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، ومن حقى إصدار أية قرارات ..

قاطعته فى حدة :

ـ لا .. ليس من حقك .

انتفض فى عنف ، هاتفًا :

ـ ليس ماذا ؟!

واجهته فى شراسة عجيبة :

ـ نعم .. ليس من حقك اتخاذ أية قرارات ، يمكن أن تؤثِّر فى الشعب الأمريكى ، دون الرجوع إلى الكونجرس .. الدستور ينصّ على هذا .

هبَّ من مقعده ، قائلاً فى حدة :

ـ الكونجرس منحنى تفويضًا ..

قاطعته بنفس الشراسة :

ـ بشن الحروب خارج الحدود فحسب ، وليس داخلها ..

أطلَّت من عينيه حيرة بائسة ، أكَّدت شكوكها فيما حدث ، بينه وبين رجل (الموساد) الإسرائيلى ، فاقتربت منه ، متسائلة فى صرامة :

ـ بِمَ يهدِّدونك ؟!

نظر إليها الرئيس فى هلع واضح ، ثم عاد يشيح بوجهه ، فى توتر شديد ، فقالت فى حزم صارم ، وكأنها تلقِّن تلميذًا أحد الدروس الهامة :

ـ أيًا كان ما يهدِّدونك به ، يمكننا أن ...

قاطعها فى حدة :

ـ لا يهدِّدوننى بشىء .

تراجعت فى توتر ، وهى تقول فى شك :

ـ ألنت واثق ؟!

قال فى عصبية :

ـ لست فى محل دفاع عن النفس .

قالت فى صرامة :

ـ ولكنك تحمل مسئولية أمة كاملة .

هبَّ من مقعده ، صارخًا فى وجهها :

ـ من حسن الحظ أننى أنا الذى أحملها ، لا أنت .

رمقته بنظرة تفيض مقتًا وكراهية ، وهى تقول :

ـ ما من رئيس حكم دون مستشارين .

لوَّح بذراعه كلها فى حدة ، هاتفًا :

ـ مستشارين .. لا معلمين .

صمتت طويلاً ، وهو يعود إلى مقعده ، ويديره بحركـة حـادة ، ليواجه النافذة الكبيرة ، المطلَّة على ساحة البيت الأبيض ، وسـاد بينهما صمت شديد التوتر ، قبل أن تقول هى فـى خفوت ، وهى تبذل جهدًا خرافيًا ، للسيطرة على أعصابها :

ـ بِمَ أصدرت أوامرك ؟!

تجاهل الإجابة المباشرة على سؤالها ، وهو يقول فى توتر :

ـ ذلك المصرى يجشِّمنا الكثير ، ووجوده على قيد الحيـاة يسيئ إلى وجودنا نحن .

سألته فى دهشة :

ـ إلى هذا الحـد .

قال فى عصبية :

ـ لا بد من القضاء عليه بأى ثمن .

انعقد حاجباها فى شدة ، ولاذت بالصمت التام طويلاً ، قبل أن تقول فى حذر :

ـ لم يكن هذا رأيك فى السابق .

قال فى حـدة :

ـ إنه رأيى الآن .

صمتت طويلاً هذه المرة ، وأيقنت أنهـم يهدِّدونـه بـأمر يخيفـه ويثير انزعاجه ..

إلى أقصى حـد ..

لقد حاولوا هذا مـع (جـون كينيـدى) ، عن طريق (مـارلين مونرو) ، تلك الممثلة الأمريكية الفاتنة ، التى سحرت العالم فى زمنها ، ثم انتهت حياتها على نحو غامض ، ما زال يثير التساؤل حتى يومنا هذا ..

تمامًا مثلما حدث مع (كينيدى) نفسه بعدها ..

ثم فعلوها مع (نيكسون)، و(ريجان)، و(كلينتون) ..

كل رئيس اعترض مسارهم تعرَّض لهذا ..

كل رئيس ..

تقريبًا ..

وهى واثقة من أنهم قد فعلوها مع الرئيس الحالى ..

أسلوبه العدوانى الساذج فى معالجة الأمور، يوحى بأنه قضى فترة شباب عصبية، ورجولة مضطربة ..

ولا ريب فى أنه قد ارتكب خطأ ما أيامها ..

خطأ يمكن التقاطه ..

واستغلاله ..

وتوجيهه ..

« ماذا قرَّرت ؟!.. »

أعادت سؤالها مرة أخرى، فلاذ الرئيس بصمت متوتر لحظات، ثم أجاب فى صرامة، حاول عبثًا أن يخفى بها عصبيته :

ـ لقد أخبرتك .

وصمت لحظة أخرى، قبل أن يضيف، وقد أفلتت عصبيته، وأعلنت عن نفسها فى وضوح مخيف :

ـ لقد أصدرت أمرًا لكل جهة أمنية وحربية، بالقضاء على هذا المصرى، وتجنيد كل القوى لهذا الهدف .. أيًّا كان الثمن .

وعلى الرغم من ثقتها فى حتمية القضاء على (أدهم)، فقد بدا الأمر مفاجئًا وصادقًا بالنسبة للوزيرة السمراء ..

بل وبدا مخيفًا ..

جدًّا .

* * *

7ـ السـلاح ..

فجأة ، انتفض الماجور (بولانسكى) ، وفتح عينيه على اتساعهما فى توتر بالغ :

وبحركة حادة ، اعتدل جالسًا ..

كان يرقد وسط هالة واسعة دافئة ، يشير كل شبر فيها إلى فخامة زائدة مبالغة ..

وحوله ، كان هناك ستة رجال ضخام الجثة ، يصوبون نحوه فوهات مدافعهم الآلية ، ومن خلفها عيونهم الباردة ، الخالية من أية مشاعر أو انفعالات ..

أما أمامه مباشرة ، وعلى مسافة أربعة أمتار ، فكان يجلس (أبل كوربوف) ، زعيم (المافيا) الروسية ، على عرش ضخم عتيق الطراز ، وهو يرتكن إلى مسنده فى لا مبالاة ، ويتطلّع إليه فى صرامة أكثر برودة ..

وبكل توتر الدنيا ، قال (بولانسكى) :

ـ إذن فهو أنت .

قال (كوربوف) فى صرامة :

ـ لا تقل لى إنك لم تكن تتوقّع هذا .

حاول (بولانسكى) أن ينهض ، وهو يقول :

ـ عملنا يعتمد على أن نتوقّع كل شىء .

أشار (كوربوف) إلى صدره ، وهو يقول :

ـ أما عملى ، فيعتمد على معرفة كل شىء .

انعقد حاجبا (بولانسكى) ، وهو يسأله فى حذر متوتر :

ـ قيادتى تعلم أننا هنا .

ابتسم (كوربوف) ابتسامة شديدة السخرية ، وهو يقول :

ـ هنا أين ؟!

أجاب (بولانسكى) فى سرعة :

ـ كلنا نعلم بأمر قصرك فى (سيبيريا) .

هزّ (كوربوف) كتفيه فى استهتار ، قائلاً فى سخرية :

ـ آه .. مقر (سيبيريا) .. إننى لم أزره منذ أكثر من عام كامل .. على الأقل ..

تلفّت (بولانسكى) حوله فى توتر شديد ، وهو يتساءل فى حذر :

ـ أين نحن إذن ؟!

لم يكد يتم تساؤله ، حتى انفجر (كوربوف) ضاحكًا ، فى مزيج من الظفر والسخرية والاستهزاء والاستهتار ، قبل أن يقول :

ـ إذن فأنتم لا تعلمون .

أطبق (بولانسكى) شفتيه فى عصبية ، دون أن يجيب ، فمال (كوربوف) نحوه ، وأشار إلى الرجال المحيطين به ، فامتدّت أيديهم تنتزع (بولانسكى) انتزاعًا ، وتدفعه إلى الأمام ، ثم تلقيه تحت قدمى (كوربوف) ، الذى سأله فى اهتمام :

ـ أنت خبير أسلحة .. أليس كذلك ؟!

تطلّع (بولانسكى) إليه فى صمت ، دون أن يجيب ، فهوت على رأسه لكمة عنيفة ، من أحد رجال (كوربوف) ، الذى تراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ يجب أن تتعلّم أنك ستجيب أى سؤال أطرحه ، إما مباشرة ، أو بعد أن نقطع أطرافك ، واحدًا بعد الآخر .

ثم عاد يميل نحوه بحركة حادة ، قائلاً :

ـ أنت خبير أسلحة .

ازدرد (بولانسكى) لعابه فى صعوبة ، وغمغم :

ـ بحكم عملى .

تألّقت عينا (كوربوف) فى ظفر ، وتراجع مرة أخرى فى مقعده ، قائلاً :

ـ عظيم .. لقد استوعبت الأمر بسرعة .

صمت لحظات ، راقب خلالها أظافره فى استهتار ، ثم التفت مرة أخرى إلى رجل المخابرات السوفيتى ، قائلاً :

ـ إننى أحتاج إلى استشارتك .

سأله (بولانسكى) فى حذر :

ـ بشأن ماذا ؟!

أجابه بمنتهى الصرامة :

ـ سلاح .

تفجّرت فى أعماق (بولانسكى) دهشة عارمة للإجابة ..

(أبل كوربوف) ، زعيم (المافيا) الروسية ، الذى يتعامل بالأسلحة منذ نعومة أظفاره ، يريد استشارته بشأن سلاح !..

سلاح لم يعرفه ..

ولم يفهمه ..

فأى سلاح هذا ، الذى يجهله رجل مثله ؟!..

أى سلاح ؟!

دارت هذه الأسئلة ، وانطرحت كلها فى ذهنه ، دون أن تتسرَّب إلى لسانه لحظة واحدة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بدا وكأن (كوربوف) قد سمعها ، وهو يقول :

- لا تطرح على نفسك الأسئلة مسبقًا .

قالها وهو يشير إلى أحد رجاله ، فأحاط عينى (كوربوف) بعصابة سميكة ، ثم جذبه الرجال ؛ لإجباره على النهوض ، و(كوربوف) يواصل فى صرامة :

- استعد يا رجل الحكومة .. سنبدأ رحلتنا .. الآن .

ودفع الرجال (بولانسكى) أمامهم ، والأسئلة ما زالت تشتعل فى ذهنه ..

بالمئات ..

* * *

على الرغم من كثرة التقارير ، التى قدَّمها من تبقى من رجال المارينز ، لم يستطع تقرير واحد منها أن يصف بالتحديد ماذا حدث فى تلك اللحظات هناك ..

فى قلب الحقول ..

لقد اشتعلت النيران ، فأفسدت جهاز الرصد الحرارى وأجهزة الرؤية الليلية ، وأضاءت الحقول فى الوقت نفسه ..

ومع الدخان الكثيف ، الذى انطلق من النباتات الرطبة ، أصبحت الرؤية شبه منعدمة إلى حد كبير ..

ووسط الدخان ، ومن أماكن مختلفة ، سمع الرجال ، أو معظمهم على الأقل ، صوت لكمات مكتومة ، وتأوهات سريعة ..

وكلما حاولوا تحديد مصدر اللكمات والتأوّهات ، بدت لهم وكأنها تنطلق من كل اتجاه ..

ولأنهم متفرقون فى الحقول ، والرؤية ضائعة ، لم يستطع أيهم أن يطلق رصاصة واحدة ..

ثم وصلت سيارات الشرطة والإطفاء إلى المكان ..

وسادت الفوضى ..

ثم جاء رجال الصحافة بسرعة ..

ورجال الإعلام ..

وآلات تصويرهم ..

وأصبحت الفوضى شاملة ..

وكان من المحتَّم أن ينسحب رجال المارينز ..

مؤقتًا ..

هذا ما شمله تقريرهم الرسمى ، الذى قرأه (سميث) فى غضب ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ ماذا يعنيه هذا ؟!.. قوات المارينز ، التى أخضعت حكومات كاملة ، تفشل فى اصطياد رجل واحد .

قال قائد قوات المارينز فى عصبية :

ـ لم يكن وحده .

هتف (سميث) :

ـ آه .. هل ستضيف ذلك الشاب ؟!

قال الرجل ، وقد جعلته عصبيته محتدًا :

ـ بل سأضيف خبراته المدهشة ، وجرأته المستحيلة !.. كان ينبغى أن تخبرونا بأمره الحقيقى ، قبل أن نبدأ القتال ..

قال (سميث) فى غضب :

ـ أكان هذا سيصنع فارقًا ؟!

أجابه الرجل بنفس الحدة :

ـ بالتأكيد .

ثم بدا وكأنه قد فقد سيطرته على أعصابه تمامًا ، وهو يضيف فى غضب :

ـ لو أننا عرفنا قدرات الخصم الذى نواجهه ، لأعددنا قوتنا وتسليحنا على نحو مختلف تمامًا .

قال (سميث) فى صرامة ، حتى لا يفقد هيبته :

ـ أيعنى هذا أنكم قد فشلتم ؟!

انتفض القائد ، هاتفًا :

ـ مطلقًا .

ثم استطرد فى صرامة شديدة :

ـ لقد أغلقنا كل الطرق ، لمسافة عشرة كيلومترات ، فور نجاحه وفتاه فى الفرار من حلقتنا المميتة ، وبعد أن أصدر الرئيس أوامره ، تحوّل الأمر إلى أولوية مطلقة ، وانضمت إلينا قوات مكافحة الإرهاب ، وفى هذه اللحظة ، تتم عملية تفتيش واسعة النطاق ، لإطباق الحلقة نحوهم بمنتهى الإحكام هذه المرة ، ولقد استعنّا بفريق من خبراء البحرية ، والمباحث الفيدرالية والمخابرات ، لدراسة كل الاحتمالات بمنتهى الدقة ، وتقدير ما يمكن أن يفعله ذلك الثعلب ، لمواجهة أى موقف وكل موقف .

غمغم (سميث) فى اهتمام كبير :

ـ (فرتيواليتى) .

سأله القائد فى حذر متوتر :

ـ من ؟!

أجابه (سميث) فى حماس واضح :

ـ إنه أفضل من كل من لديك ، فى فريق الخبراء .. خبير يمكنه أن يتنبأ بكل خطوة يخطوها ذلك المصرى ، أو يمكن أن يخطوها .

قال القائد فى شك :

ـ ولكنه شديد الدهاء ، واسع الحيلة ، جم الجرأة ، و ...

أجابه (سميث) فى حزم :

ـ (فرتيواليتى) يضع كل هذا فى اعتباره .

بدا القائد مبهورًا ، وهو يقول :

ـ أسرع به إلينا إذن .

التقط (سميث) هاتفه ، وقال فى حسم :

ـ فورًا .. ولكن مع وجوده ، انتظر أن يحسم أمر ذلك المصرى بأسرع ما يمكن .

سأله القائد فى حذر :

ـ مثل متى ؟!

أجابه بمنتهى الصرامة :

ـ قبل الفجر ..

وكان هذا يعنى أن يحمى وطيس المعركة ..

إلى حده الأقصى ..

على الأقل ..

* * *

على الرغم من كل توتر الموقف ، ومن وجودهما داخل قبو منزل خالٍ ، على أطراف العاصمة (واشنطن) ، غرق (هشام) فى نوم عميق ، فى ركن المكان ، الذى غرق فى ظلام شبه دامس ، لولا لمحة من أضواء الطريق ، تتسلل عبر نافذة علوية صغيرة مستطيلة ، فى مستوى الطريق تقريبًا ..

وعلى قيد متر واحد منه ، جلس (أدهم) مرتكنًا بظهره إلى الجدار ، وهو يضم ركبتيه إلى صدره ، وعقله يعمل فى عمق ، مع عينيه الشاردتين وسط الظلام ..

منذ بدأ رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، توقَّع (أدهم) ـ كعادته ـ أن تتطوَّر الأمور ، على أى نحو كان ..

فكرجل مخابرات محترف ، عليه ألا يخطو خطوة واحدة ، دون أن يدرس كل الاحتمالات ، حتى النادر وغير المألوف منها ..

ولكنه لم يتصوَّر أو يتوقَّع تلك التطوّرات أبدًا ..

لقد كانوا فى انتظاره ..

رجال مخابرات أربع دول ، كانوا يستعدون لمواجهته ، منذ بدأ رحلته ..

أو حتى قبل هذا ..

رجل المخابرات الروسى ، الذى أوقع به ، أخبره بالكثير ..

أخبره أنهم يواجهونه ببرنامج كمبيوتر شديد التطوّر على الأرجح ..

وبكل قوتهم ..

وتكنولوجيتهم ..

وكراهيتهم ..

ورغبتهم فى الانتقام منه وتدميره ..

وعلى الرغم من حالة السكون ، بينه وبين منظمة (المافيا) ، وزعيمتها دونا (كارولينا) ، فقد انضمَّت هذه الأخيرة إلى التحالف ..

وأطلقت رجالها خلفه ..

المشكلة التى كانت تضاعف من خطورة كل هذا ، هى حتمية أن ينقذ ما جاء خصيصًا من أجله ..

أن ينقذ (هشام) ، حفيد السيد (حسن) ، الذى رباه مع والده منذ طفولته ..

لم يكن من الممكن أن يتخلَّى عنه أبدًا ..

مهما كان الثمن ..

حتى لو كان هذا الثمن هو حياته نفسها ..

الرجل منحه حياته من حداثته ، ولن يتردَّد هو أيضًا فى منحه حياته بالمقابل ، إذا ما اقتضى الأمر ..

ألقى نظرة صامتة على (هشــام) ، الذى استغرق فى النوم ، وعادت أفكاره تنطلق مرة أخرى ..

الموقف الآن أكثر تعقيدًا من أى موقف آخر ، واجهه فى حياته ..

ما زالت أجهزة مخابرات أربع دول تطارده فى شراسة ..

وما زال رجال دونا (كارولينا) خلفه ..

وقوات المارينز بكل إمكانياتها ..

ودولة كاملة تقف وراء كل هذا ..

أقوى دولة فى العالم تسعى خلفه بكل قواتها ، وهو داخلها ، بعيدًا عن وطنه ، وأهله ، ورفاقه ، ودولته ..

ويخوض حربًا مستحيلة ..

حرب دول أربع ، ضد رجل واحد ..

رجل المستحيل !..

وحتى بالنسبة إليه ، بدا الانتصار فى تلك الحرب أمرًا مستحيلاً ..

مستحيل تمامًا ..

فمهما بلغت قدراته ، وإلى أى مدى تصل براعته وخبراته ، لا يمكن له كرجل واحد ، أن يحارب نصف العالم ، خاصة لو أنه مضطر لحماية شخص آخر ..

شخص لا يمتلك أية خبرة ..

على الإطلاق ..

ثم إن كل الدول ، التى انطلقت خلفه ، بكل شراسة الدنيا ، تحمل له البغض والكراهية ، ولديها ثأر شخصى معه ..

الأمريكيـون ..

والبريطانيون ..

والـروس ..

والإسرائيليون ..

و ...

مهـلاً ..

فجأة ، وثبت الفكرة فى ذهنه ، أو فلنقل إنها قد تفجَّرت فى رأسه ، كألف ألف قنبلة دفعة واحدة ..

أين الإسرائيليين ؟!..

لقد واجه البريطانيين ..

والأمريكيين ..

والروس ..

ولكن ليس الإسرائيليين ..

المفترض ، وفقًا لما انتزعه من رجل المخابرات الروسى ، أنهم وراء اللعبة كلها ..

فأين هم ؟!..

أين ؟!..

أين ؟!..

عاد يدير الأمر كله فى ذهنه ، واشتعل رأسه كله بالتفكير ، حتى إنه نهض من مكانه فى حركة حادة ، وراح يدور فى المكان ، محاولاً إيجاد تفسير منطقى للأمر ، و ...

وفجأة سقط ضوء مصباح كهربى على وجهه ..

وبحركة بالغة السرعة ، وثب (أدهم) إلى الخلف ، مبتعدًا عن دائرة الضوء ، والتصق بالجدار مرهفًا سمعه بشدة ..

وقبل أن تمضى ثوان عشر ، كان قد أدرك ما يحدث فى الخارج ..

إنهم رجال المارينز ..

لقد أحاطوا بالمنزل ..

وأسقطوه فى فخ محكم ..

محكم إلى حد الموت ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا الإسرائيلى (راءول) فى شدة ، وهو يطالع ذلك التقرير الأمنى ، الذى قدَّمه له الملحق العسكرى للسفارة الإسرائيلية فى (واشنطن) ، وسأله فى صرامة واهتمام :

- إذن فقد أرسل الروس فريقًا محترفًا إلى (سيبيريا) .

أجابه الملحق العسكرى ، فى اهتمام بالغ :

- يقول عملينا هناك إنه أفضل فريق لديهم .

قال (راءول) فى خشونة :

- لن يصنع هذا فارقًا .

تراجع الملحق العسكرى فى دهشة ، ولم يحاول مناقشة الأمر ، ولكنه اكتفى بأن اتخذ وقفة عسكرية ثابتة ، قائلاً :

- هناك معلومة أخرى ، بلغتنى هاتفيًا يا أدون (راءول) .

سأله (راءول) فى حدة :

- أية معلومة ؟!

أجابه الرجل على الفور :

- قوات المارينز حدَّدت موقع (أدهم صبرى) .

التفت إليه (راعول) بحركة حادة ، فأضاف فى سرعة :

ـ تقريبًا .

سأله فى عصبية :

ـ ماذا تعنى كلمة (تقريبًا) هذه ؟!.. إما أنهم قد حددوا موقعه أو لا .

قال الملحق العسكرى فى ضيق :

ـ هم أنفسهم لا يمكنهم الجزم .. لقد حددوا خمسة أماكن محتملة ، ويقومون بمحاصرتها كلها .

قال (راعول) فى سخرية عصبية :

ـ هل بلغ ذكاؤهم هذا الحد ؟!

صمت المحلق العسكرى لحظة ، وأجاب :

ـ إنه (فرتيواليتى) .

هتف (راعول) فى غضب واستنكار :

ـ (فرتيواليتى) ؟!

قال الملحق العسكرى ، وقد أورثه هذا بعض العصبية :

ـ المفترض أننا قد صممناه لمعاونتهم .

انعقد حاجبا (راعول) ، وهو يقول :

ـ نعم .. هذا ما صممناه من أجله .

ظل صامتًا بضع لحظات ، وكأنما يدير أمرًا ما فى ذهنه ، ثم عاد يقول فى صرامة :

ـ فليكن .. سنترك لهم أمر (أدهم) .

شعر الملحق العسكرى بدهشة عارمة للعبارة ، التى بدت متناقضة بشدة مع ما يحفظه كل رجل مخابرات إسرائيلى عن ظهر قلب ، من أن (أدهم صبرى) هو عدوّهم رقم واحد ، ولكن (راعول) تابع بنفس الصرامة ، وهو يلتقط هاتفه المحمول :

ـ ولنهتم نحن بأمر الروس .

تضاعفت دهشة الملحق العسكرى ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، حتى صاح فيه (راعول) فى حدة :

ـ اتركنى وحدى .. إنها محادثة خاصة للغاية .

أسرع الملحق العسكرى الإسرائيلى يغادر الحجرة ، ويغلق بابها خلفه ، فى حين ضغط (راعول) أزرار هاتفه المحمول برقم خاص ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال فى حزم :

ـ إنه أنا .. (راعول) .. صلنى بذلك الحقير (كوربوف) .. فورًا .

قالها وعيناه تلتمعان على نحو خاص ..

نحو مخيف ..

للغـاية ..

★ ★ ★

طوال أكثر من نصف ساعة كاملة ، ظل الماجور (بولانسكى) صامتًا ، وهو يجلس بين رجلين ضخمى الجثة ، من رجال (كوريوف) ، داخل شىء يتحرّك فى سرعة .

لم يكن سيارة من أى طراز ..

كان جسمًا شبه بيضاوى ؛ كما أدرك عندما استند إليه ، قبل أن يدفعوه داخله دفعًا فى خشونة ..

وهو ليس تام الإغلاق ؛ فالهـواء البارد يرتطم بوجهه طوال الوقت ..

ثم إنه يسير فوق قضبان مثل القطار ..

أو فوق قضيب واحد على الأرجح ، تمامًا مثل (المونوريل)(*) اليابانى الشهير ..

(★) المونوريل : قطار خاص ، تم ابتكاره لأوّل مرة فى أواخر القرن التاسع عشر ، واسمه يعنى القطار الذى يسير على قضيب واحد ، ولقد استخدمته مؤسسة (ديزنى) فى البداية كوسيلة للتسلية والإبهار ، إلا أنه سرعان ما انتشر فى أماكن عديدة . أشهرها (لوس أنجلوس) الأمريكية ، و(سيدنى) الأسترالية .

إنه يجزم بهـذا ، مع الحركـة المنظمـة ، وذلك الشعور الذى يملأ كيان المرء ، عندما يركب قطارًا من أى نوع ..

وهم ينطلقون حتمًا داخل نفق ما ..

نفق واسع ..

مضاء ..

ومكيَّف الهواء ..

نفق لا يمكن رصده عبر الاستطلاع الجوى ..

أو الرصد البصرى العادى ..

لهذا لم يكشفوا أمره أبدًا ..

ولكن كيف تم تنفيذ كل هذا ، فى غفلة من النظام الروسى كله ؟!

كيف ؟!..

هناك حتمًا لعبة فساد كبرى ، خلف كل هذا ..

لعبة شملت الجميع ..

حتى جهات المراقبة ..

هنـاك من دفـع ملايين الدولارات ؛ لإقامـة كـل هـذا ، دون أن يعرف بأمره أحد ..

ذلك الوكر شديد الفخامة ، الذى استعاد وعيه فيه ، بعد أن وثب من الهليوكوبتر فى اللحظة الأخيرة ، قبل انفجارها المروّع ..

وذلك الممر ، الذى ينطلق فيه الآن ..

واللّه وحده يعلم ماذا أيضًا !..

كل التقارير الأمنية تؤكّد ، منذ فترة طويلـة ، أن قوة ونفوذ (أبل كوربوف) ، ومن خلفـه (المافيـا) الروسـية تتضـاعف وتتضاعف ، مع مرور الوقت ..

ولقد قرأ هذه التقارير ألف مرة أو أكثر ، ولكنه لـم يتخيّل قط ما بلغه الأمر ..

لقد صار (كوربوف) دولة داخل دولة ..

بل وربما أصبح أكثر قوة من الدولة نفسها ..

وها هو ذا يأمره ، دون أن يهتز له جفن ، ويقوده عبر نفق طويل ، إلى حيث يحتفظ بسلاح ما ..

سلاح يفوق قدرته على الاستيعاب ..

عند هـذه النقطـة ، كـان من الطبيعى أن ينتقل تفكيره ، من (أبل كوربوف) إلى ذلك السلاح ..

السلاح الذى أثار قلقه وخوفه ، قبل حتى أن يراه ..

السلاح الذى لم يفهمه زعيم (المافيا) الروسية ..

أو يستوعبه ..

أو يدرك ماهيته ..

قبل أن يتمـادى فـى أفكـاره ، شـعر بتلـك المركبـة تتوقّـف تدريجيًا ، مع صوت (كوربوف) داخلها ، يقول فى صرامة :

ـ استعد يا رجل الحكومة .

أدهشه أنـه لـم يشـعر بوجوده معه طوال الوقت ، وأنـه ظلّ صامتًا ، حتى هذه اللحظة ، ولكنه غمغم :

ـ أنا مستعد .

شعر برجال (كوربوف) ينتزعونه انتزاعًا ، ثم يدفعونـه أمـامهم فى خشونة عبر ممر آخر ، و(كوربوف) من خلفه ، يقول :

ـ أتعشّم أن تعرف طبيعة هذا السلاح ، فحياتك كلها يمكن أن تعتمد على هذا .

غمغم (بولانسكى) فى عصبية :

ـ لو أنه سلاح جديد ، فربما يستغرق الأمر بعض الوقت ، قبل الجزم بماهيته .

قال (كوربوف) فى صرامة :

ـ أمامك ساعة واحدة .

قال (بولانسكى) ، فى عصبية أكثر :

ـ وإن لم تكفِ ؟!

توقفوا جميعًا ، و(كوربوف) يقول فى شراسة قاسية :

ـ سيكون هذا من حسن حظك .

نطقها ورجاله ينتزعون تلك العصابة السميكة عن عينيه بحركة حادة ، فأغشى الضوء عينيه لحظة ، جعلته يُغلقهما فى قوة ، ثم عاد يفتحهما فى بطء وحذر ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى ذلك السلاح ، الذى توسَّط قاعة هائلة ..

السلاح الذى بدا أكثر خطورة من كل ما جال حتى فى كوابيسه ..

أكثر خطورة من كل هذا ..

ألف مرة .

★ ★ ★

8ـ حرب رجل واحد ..

لم تكد طائرة سير (ويليام) فى مطار (جى . إف . كيه) فى (نيويورك) ، ويغادرها مع مساعده (جون) ، حتى استقبلهما مندوب من المخابرات الأمريكية فى احترام ، قائلاً :

ـ سير (ويليام) .. مستر (جون) .. مرحبًا بكما فى الولايات المتحدة الأمريكية .

تجاوز (ويليام) عبارات المجاملة التقليدية بسرعة ، وهو يسأل الرجل فى حزم :

ـ إلى أين وصلتم ، مع ذلك المصرى .

ألقى رجل المخابرات الأمريكى نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب :

ـ سنوقع به خلال أقل من نصف الساعة .

سأله (ويليام) فى لهفة ، لم يستطع إخفاءها :

ـ هل عرفتم أين هو ؟!

أجابه الأمريكى فى هدوء :

ـ ليس لديه مكان يذهب إليه .

توقَّف (ويليام) ، وسأله فى حدة ، أدهشت (جون) نفسه :

ـ هل عرفتم موقعه أم لا ؟!

توقَّف الأمريكى بدوره ، قائلاً :

ـ لقد حاصروا المنطقة كلها يا سيِّدى .

قال (ويليام) بنفس الحدة :

ـ ولكنكم لم تحدِّدوا موقعه بالضبط .

شد الأمريكى قامته ، وقال فى حزم :

ـ بالحصار الذى صنعناه ، لا يمكن لبعوضة أن ...

قاطعه (ويليام) فى حدة أكثر :

ـ كيف تتلقون تدريباتكم أيها الأمريكيين ؟!.. أيدربونكم فقط على التسويف والمراوغة ؟!.. أليست لديكم أجوبة مباشرة ، لأى سؤال واضح .

بدا لـ (جون) أن الأمريكى يعانى من نفاد صبر ، وهو يسأل سير (ويليام) فى برود متعمَّد :

ـ ما سؤالك بالضبط يا سيِّدى .

قال (ويليام) فى صرامة ، المفترض أن تخفى توتره :

ـ سألتك أكثر من مرة .. هل حدَّدتم موقع (أدهم صبرى) بالضبط .

شدَّ الرجل قامته ، وأجاب بأسلوب عسكرى :

ـ حدَّدنا المواقع الخمسة الوحيدة ، التى يحتمل تواجده فيها .

قال (ويليام) :

ـ إذن فلم تظفروا به بعد .

أجابه الأمريكى ، فى برود شديد :

ـ كلاًّ .

ثم استدار ، وواصل طريقه ، دون أن يحاول معرفة ما إذا كانا قد اتبعاه أم لا ، وهو يقول :

ـ سنذهب الآن إلى مقرنا الرئيسى ، و ...

قاطعه سير (ويليام) فى صرامة :

ـ بل سنذهب إلى ميدان المعركة مباشرة .

توقَّف الأمريكى مرة أخرى بحركة حادة ، وقال فى شىء من الصرامة :

ـ الأوامر تقول ...

قاطعه (ويليام) بغضب هادر هذه المرة، وفى صوت مرتفع، جذب دهشته وانتباه كل رواد المكان:

- الميدان مباشرة.

صمت الأمريكى لحظة، ربما ليسيطر علـى أعصابـه، قبل أن يقول فى صرامة واضحة:

- لا بد من إبلاغ الرؤساء أوّلاً.

أجابه سير (ويليام)، وهو يندفع خارج مبنى المطار:

- فليكن .. أخبرهم أننى بالفعـل فى طريقى إلى هنـاك .. هيا يا (جون).

وقف الأمريكى صامتًا صارمًا، واثقًا مـن أنهمـا لـن يعرفـا أساسًا أين ميدان المعركة، إلا أنه فوجئ بسيارة ذات أرقـام دبلوماسية بريطانية، تتجه إليهما فور خروجهما من المبنى، فيدلفان إليها فى سرعة، وتنطلق بهما على الفور، قبل حتى أن يلتقط رقمها ..

ولم تستغرق دهشة رجل المخابرات الأمريكى سوى لحظة واحـدة، أسرع بعدها يلتقط هاتفه، المحمول، ويقول عبره فى توتر:

- كولونيل (سميث) .. البريطانيون دخلوا اللعبـة .. علـى الرغم منـا.

ومن توتره وانعقادة حاجبيه، كان من الواضـح أن (سميث) قد اشتعل غضبًا للعبارة ..

وأن غضبه كله قد تفجَّر ..

بمنتهى العنف ..

* * *

لم يكد الملازم (جون لارك) يتلقى تلك الإشارة، من الهليوكوبتر الحربية الأمريكية، التى رصدها رادار جزيرة السجن الخاص، حتى انعقد حاجباه فى شدة، وغمغم فى قلق:

- كيف لم تصلنا أوامر مسبَّقه بهذا كالمعتاد ؟!

صمت لحظات مفكِّرًا، ثم ضغط زر جهاز اتصال، على موجـة خاصة وسرية للغاية، وقال:

- من (ج . س) إلى القيـادة .. لـم تصلنـا أيـة أوامر، بشأن هليوكوبتر حربية، تقترب بسرعة من الجزيرة.

مضت لحظات من الصمت، قبل أن يأتيه صوت صارم، يقول:

- إنها مهمة عاجلة، لم يتسن الوقت لإبلاغك بها.

قال فى قلق أكثر:

- ولكن الأوامر المستديمة تحتم ...

قاطعه صاحب الصوت الصارم فى حدة :

ـ قلت ، إنها مهمة عاجلة .. سيصلك أمر رسمى خلال لحظات .

تساءل فى حذر :

ـ أعلينا أن نستقبلها إذن ؟!

لم يجبه صاحب الصوت الصارم ، فى حين سـأله مسئول الرادار فى قلق :

ـ الهليوكوبتر تواصل الاقتراب ، ووسائل الدفاع الجوى ستعمل آليًّا ، خلال نصف الدقيقة ، ما لم نوقفها يدويًّا .

انعقد حاجبا (لارك) فى شدة ، وهو يدير الأمر فى رأسه ، ومسئول الرادار يربكه بقوله المتوتر :

ـ أربعون ثانية تبقت .. خمس وثلاثون .. ثلاثون .. خمس وعشرون ..

هتف (لارك) فى صرامة عصبية :

ـ أوقفها .

قالها ، ثم اندفع خارج المكان ، متجهًا إلى مهبط الطائرات ، الذى أحاط به عشرة جنود مدججين بالسلاح ، فى زى الميدان ،

وكلهم يصوبون مدافعهم الآلية نحو المنطقة التى ستهبط فيها تلك الهليوكوبتر الحربية ، التى راحت تقترب ، حتى أصبحت فوق دائرة الهبوط ، فتوقفت فى الهواء لحظة ، ثم راحت تهبط فى بطء ، نحو مركز الدائرة تمامًا ، والجنود يصوبون مدافعهم الآلية نحوها ، فى تحفز شديد ..

ثم فجأة ، توقفت الهليوكوبتر ، على ارتفاع نصف متر فحسب من الأرض ..

وراحت تدور حول نفسها ..

ومع دورانها ، انطلقت رصاصات مدفعها الآلى فجـأة ، تحصد كل ما حولها ..

سيل من النيران المباغتة ، انهمر على الجنود ، وأطاح بسبعة منهم فى اللحظة الأولى ، فصرخ (لارك) المصدوم فيمن تبقوا :

ـ خيانة .. أطلقوا النار .

بدأ الجنود الثلاثـة يطلقـون رصاصـاتهم علـى الهليوكوبـتر المصفحـة ، التى دارت تواجههم فـى بطء ، جعل عينـا (لارك) تتسعان ، وهو يصرخ :

ـ ربـاه !

ثم وثب وسط منطقة منخفضة ، فى نفس اللحظة التـى انطلق فيها من الهليوكوبتر صاروخ ، نحو الجنود الثلاثة المتبقين ، والذين حاولوا الفرار بدورهم ، ولكن الصاروخ كان أسرع منهم بالتأكيد ..

ودوى الانفجار ..

وفى مكمنه المنخفض ، شعر (لارك) بالنيران تتوهج فوقه ، وبرأسه يكاد يشتعل ، وهو يردد صارخًا :

ـ يا إلهى !.. يا إلهى !

انطلقت صفارات إنذار قوية فى الجزيرة كلها ، ولكن الهليوكوبتر هبطت فى هدوء ، على الرغم من هذا ، وقبل حتى أن تستقر على الأرض ، وثبت منها دستة من رجال أشداء ، فى ثياب مضادة للنيران والرصاص ، وانبعث صوت أنثوى من داخل الهليوكوبتر ، يقول بلهجة صارمة آمرة :

ـ ابدءوا الهجوم .

اندفع الرجال عبر الممر المواجه للمهبط ، وهم يطلقون نيرانهم فى غزارة ، فى حين هبطت (تيا) الحسناء من الهليوكوبتر فى هدوء ، وعقدت ساعديها أمام صدرها ، وهى تبتسم ابتسامة ظافرة ، وكأنما تثق تمامًا فى انتصارها ، وغمغمت فى جذل واضح :

ـ أخيرًا سنلتقى مرة أخرى أيتها الزعيمة .

واتسعت ابتسامتها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

أطلَّ غضب شديد الاستنكار من عينى رئيس الوزراء الإسرائيلى ، وهو يطالع الورقة التى قدمها له مدير (الموساد) ، ثم قال فى حدة :

ـ تريدون مليارى دولار أمريكى ؟!.. هل جننتم ؟!

أشار مدير (الموساد) بيده ، قائلاً :

ـ إنه ثمن بخس ، مقارنة بما سنحصل عليه بالمقابل ، يا سيادة رئيس الوزراء .

سأله رئيس الوزراء فى حدة :

ـ وما الذى سنحصل عليه ؟!

أجابه مدير (الموساد) فى اقتضاب حازم :

ـ القوة .

تطلّع إليه رئيس الوزراء الإسرائيلى فى توتر حذر لعدة لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية خفيفة :

ـ اشرح أكثر .

شدَّ مدير (الموساد) قامته ، وقال فى حزم :

ـ إنه ثمن سر سلاح جديد ، يفوق كل ما لدى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها من أسلحة .. سلاح يمكنه أن يمنح صاحبه قوة تكفى للسيطرة على العالم .

اتسعت عينا رئيس الوزراء فى انبهار ، مغمغمًا بصوت لاهث ، من شدة الانفعال :

ـ العالم ؟!

أومأ مدير (الموساد) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم أكثر :

ـ العالم كله .. وبلا منافس أو منازع .

ظل رئيس الوزراء الإسرائيلى يحدّق فيه بمنتهى الدهشة والانبهار لدقيقة كاملة ، قبل أن يسأله :

ـ ودرجة ثقتكم فى هذا .

أشار مدير (الموساد) برأسه ، قائلاً :

ـ تفوق التسعين فى المائة .

أجابه رئيس الوزراء الإسرائيلى :

ـ هذا يكفى .

ثم التقط قلمه ، ووقَّع الطلب الذى قدَّمه له مدير (الموساد) ، وهو يضيف :

ـ ويستحق ثمنه .

واعتدل مدير (الموساد) فى ارتياح :

فبهذا التوقيع ، أصبح باستطاعة (إسرائيل) أن تصبح أقوى دولة فى العالم ..

بلا منازع ..

* * *

« (هشام) .. استيقظ .. »

همس (أدهم) بالعبارة فى هدوء عجيب ، وهو يهزّ (هشام) فى رفق ، جعل هذا الأخير يفتح عينيه فى تكاسل ، متسائلاً :

ـ هل أشرقت الشمس ؟!

أجابه (أدهم) بنفس الهمس :

ـ إنهم يحاصروننا .

أطارت العبارة أية لمحة للنوم من ذهن (هشام) ، وجعلته يثب من مكانه ، هاتفًا فى ذعر شديد :

ـ يحاصروننا ؟!

وضع (أدهم) يده على فمه فى سرعة ، وهو يقول فى صرامة هامسة :

ـ لم يتيقَّنوا من وجودنا بعد ، ويحاولون ضمان عدم قدرتنا على الخروج ، قبل أن يبدءوا الهجوم ، للبحث عنا .

همس (هشام) فى توتر :

ـ ولكنه منزل خاص وخال ، ولا يمكنهم اقتحامه دون موافقة صاحبه هكذا ينص القانون الأمريكى .

قال (أدهم) ، وهو يجذبه فى خفة :

ـ فيما يخص الإرهاب ، الذى اعتبروه أخطر ما يواجهونه ، ألغوا كل قوانين الحريات ، ويكفى أن يعتبروننا إرهابيين ، وينسبون إلينا محاولات تفجير وبث الدمار والذعر فى المجتمع ، حتى يبيح

لهم القانون الاستثنائى اقتحام المكان دون إذن أو إنذار ، بل وتدميره عن آخره أيضًا ، وبعدها سيكتفون بدفع التعويضات المالية الكافية ، وينفضون أيديهم من الأمر كله .

تساءل (هشام) ، وهو يتبعه فى توتر :

ـ ولكن أين نذهب هذه المرة ؟!.. إنه مجرد منزل خال وجدناه فى طريقنا ، وليس منزلاً آمنًا مجهَّزًا للفرار .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا تنس أبدًا القاعدة الذهبية ..

ثم التفت إليه مضيفًا :

ـ هناك دومًا وسيلة .

« لا ينبغى أن نترك ثغرة واحدة هذه المرة .. »

نطقها قائد المارينز ، فى توافق مدهش مع عبارة (أدهم) الأخيرة ، وهو يشير إلى رجاله لتطويق ذلك المنزل الصغير ، عند ضواحى العاصمة (واشنطن) ..

كان منزلاً منفصلاً ، محاطًا بحديقة واسعة نسبيًا ، تجعله مكشوفًا من كل الاتجاهات بلا استثناء ..

وكان رجال المارينز يحيطون به تمامًا ..

دون ثغرة واحدة ..

وبينما راح بعض فنييهم يحيطون الحديقة بمصابيح ضوئية قوية ، أخذ البعض الآخر يعمل على تركيب جهاز معقد ، له شاشة كبيرة ، وأحدهم يقول للقائد :

ـ إنه جهاز رصد حرارى حركى ، سيرصد أى جسم حى يتحرك داخل المنزل ، بوسيلة أشبه بما تفعله أشعة (رونتجن)(*) .

سأله القائد فى صرامة :

ـ مهما بلغ حجمه .

أومأ الرجل برأسه ، مجيبًا فى ثقة :

ـ حتى ولو كان فأرًا صغيرًا .

اعتدل القائد ، قائلاً :

ـ عظيم .. لقد أفلتوا منى مرة ، ولن أسمح لهم بتكرار هذا مهما كانت الأسباب ..

(*) فيلهلم كونراد رونتجن (1845 - 1923م) : فيزيائى ألمانى ، له أبحاث مأثورة ، فى علم الحرارة والميكانيكا والكهرباء ، ويعرف عالميًا بأنه الذى كشف أشعة الموجة القصيرة وأشعة (رونتجن) ، عام (1895م) ، التى تعرف باسم أشعة (x) ، وتستخدم فى تشخيص الأمراض والكسور .

وضرب سطح الجهاز بقبضته ، مستطردًا فى مقت :

ـ لقد راهنت على هذا بمستقبلى .

أسرع الخبير يحمى الجهاز ، وهو يقول :

ـ وستربح يا سيدى .. ستربح بالتأكيد .

وتأكد من أن الجهاز لم يصب بأية أضرار ، من تأثير الضربة ، قبل أن يضيف :

ـ إنك لم تترك لهم ثغرة واحدة بالفعل .

قال القائد فى صرامة :

ـ هذا صحيح .

ثم أشار إليه مستطردًا بلهجة آمرة :

ـ ابدأ البحث .

ضغط الرجل زر الجهاز ، وانتظر لحظات ، قبل أن تظهر عليه صورة للمنزل من الداخل ، أشبه بخريطة ثلاثية الأبعاد ، ثم بدأ جسمان حراريان يتحركان فى خفة ، فى منطقة المطبخ ، فهتف الخبير فى ظفر :

ـ ها هما ذان .

تألقت عينا القائد ، واعتدل فى حزم ، هاتفًا :

ـ ابـدأ .

وفى لحظة واحدة أشعل رجاله كل المصابيح الضخمة ، التى تحيط بالمنزل ، فأضيئت كلها دفعة واحدة ، لتحيل ظلام الليل إلـى نهار ، وليتبع القائد هذا بصرخته العسكرية القوية :

ـ اهجم .

وكما بدأ الأمر انتهى ..

رجال دونا هاجموا ذلك المنـزل الآمن فى البداية ، وهاهم أولاء رجال المارينز بكل أسلحتهم ..

وغضبهم ..

وحزمهم ..

وعزمهم ..

وكانت أوامرهم تنص على أمر واحد ، تم التشديد عليه بشدة ..

القضاء على (أدهم صبرى) ..

مهما كان الثمن ..

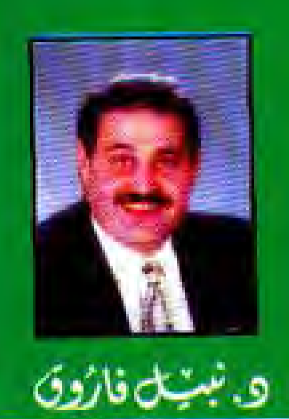
وأيًّا كان .

★ ★ ★

نهاية الجزء الثانى بحمد الله

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية
للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



د. نبيل فاروق

14 / 7 / 008

الخُطّة

- جيش من رجال دونا (كارولينا) يهاجم (أدهم) وتلميذه (هشام) هناك فى (تشارلوزفيل) الأمريكية ..
- وأجهزة مخابرات أربع دول تسعى لتدميره ، بكل قوتها ، وخبرتها ، وعددها ، وعُدّتها ..
- وخطة محكمة خبيثة ، يحاول بها الإسرائيليون السيطرة على العالم كله ..
- وعلى (أدهم) أن يواجه كل هذا وحده ، فى مهمته الأخيرة ، وأن يضع خطة تنقذ العالم من السيطرة الإسرائيلية .. ولكن كيف ؟! ..

158

* اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع رجل المستحيل ، فى مهمته الأخيرة .





الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم